

النشرة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"..خاصة بالاعضاء

العدد الرابع عشر السنة الثامنة والعشرون يوليو (النصف الثاني) ١٩٩٢

رأينـــا

بسم الله الرحمن الرحيم

بالانتفاضة الجبارة خيارنا.. النصر.. او النصر

■ جاءت جولة الوزير بيكر الى منطقتنا في وقت وصلت فيه شعبية رئيسه بوش الى درجة متدنية امام منافسه المرشح الديمقراطي روبرت كلينتون بنسبة ٢:١ تقريبا. وكان واضحا وملموسا ان الجولة تشكل جزءا لا يتجزأ من الحملة الانتخابية التي يحاول فيها بيكر اعادة انتخاب بوش رئيسا لدورة ثانية. ولم يعد مشروع بيكر للسلام في الشرق الأوسط هدفا في حد ذاته. فهو الآن مجرد وسيلة لتحقيق هدف انتخابي. ولذلك فان النظرة الى الكلمات والوعود التي تنطلق هذه الايام، لابد من التعامل معها على اعتبار كونها جزءا لايتجزأ من (كلام الانتخابات).

لقد بذلت الادارة الامريكية جهودا حقيقية لايصال رابين الى سدة الحكم في الكيان الصهيوني. وعلى الرغم من اعتراف رابين ضمنيا بهذا، الا أنه وتفاخرا على اعضاء حزبه، يتباهى بان "الشعب الاسرائيلي" اختاره هو ولم يختر حزب العمل. ان هذا الشعور بالعظمة الذي يسيطر على رابين يجعله يتطلع ليكون رئيسا "للشعب الاسرائيلي" وليس فقط لحزب العمل. ومن هنا رأينا محاولته الدؤوبة لجلب اليمين الاسرائيلي المتمثل في حزب تسوميت وبعض اعضاء الليكود الى حكومته ليضمن التوازن السياسي مع الحمائم في حزبه وحلفائهم من حركة ميرتس. وحيث ان البرنامج السياسي الذي اعلنه امام الكنيست لا يتطابق مع برنامج حزب العمل، بل يبدو أنه يتمسك بمواقف شامير في الاساسيات، فان رابين سيحاول ان يجذب بعض يمين الكنيست الى حكومته. ومن الملاحظ ان رابين لم يحدث تغيرات اساسية في المواقع التي يحتلها متطرفو اليمين الصهيوني في الاجهزة الرسمية الصهيونية، وهو يريد بذلك ان ينفي اقوال الذين يحاولون اظهار ان انقلابا سياسيا قد حصل في الكيان الصهيوني نتيجة سقوط شامير. لقد برزت تطرفات لم يعهدها الناس في عهد شامير ومنها على سبيل المثال اقتحام بيت الاخ زكريا الآغا، ومحاصرة جامعة النجاح، وفرض شروط ابعادية تحت ظروف ارهاب نفسي. ان مجموعات شامير لا تزال تمارس نشاطاتها في ظل رابين، وهي في مأمن من العقاب أو المساءلة.

واذا كانت جولة بيكر تأتي في اطار الحملة الانتخابية الامريكية، فان جولة رابين القادمة الى الولايات المتحدة، والتي ستبدأ في السابع من آب حتى السابع عشر منه، ستوظف ايضا للأغراض الانتخابية، ليس فقط من خلال اللقاء المحدد مع الرئيس بوش في يومي ١٠ و ١١/آب.

وانما ايضا من خلال اللقاءات مع مجموعات القوى اليهودية والصهيونية الامريكية التي تدعم المرشح الديمقراطي كلينتون. وكذلك اللقاء مع المرشح كلينتون ونائبه غور الذي يعتبر من اكثر المساندين للكيان الصهيوني.

لقد قدم رابين تصريحات كافية من وجهة النظر الامريكية للحصول على ضمانات القروض. ووجدت الادارة الامريكية تفسيرات ومبررات للفصل بين مفهوم المستوطنات السياسية والأمنية. وخرجت تفسيرات على لسان بيكر تتحدث عن منشآت أمنية في الاراضي المحتلة. ان التزام رابين الواجب تجاه ادارة الرئيس بوش

البقية ص 22

النهوض الذاتي: ضرورة ومستلزمات في كافة الأقاليم

. الحلقة الثانية .

المستلزمات التنظيمية

■ تنطلق المستلزمات التنظيمية للنهوض الذاتي في الاقاليم من الواقع التنظيمي وما اعتوره من نقاط ضعف او ترهل او تقصير في الممارسة والأداء.

وبدون ريب فان تجاوز واقعنا التنظيمي الراهن هو أمر اصبح في غاية الضرورة، حيث تعطلت في كثير من المناطق الحياة التنظيمية او اصابها الفتور والوهن والضعف، وبرزت بعض الظواهر والنزعات الخاطئة وتقلص المردود العملي للمهمات وأدائها وبدأت حالات من انعدام الحس بالمبرر العملي للاندراج في الهيكل التنظيمي أو الاطر التنظيمية.

ان النهوض الذاتي التنظيمي هو الضرورة الملحة التي لا يمكن التريث او التردد او ضعف الاداء في مجالها.

ويبدأ هذا النهوض اول ما يبدأ من حياة الاطر المركزية لينعكس مباشرة في الاقاليم. واذا اكدنا مبدأ ان الاقاليم تستطيع ان تبدأ نهوضها الذاتي تنظيميا بشكل يسبق المركز، فاننا نؤكد في المقابل مبدأ ان النهوض التنظيمي المركزي يسهل كثيرا للاقاليم مهمتها ويجعل هذه المهمة اقدر على الانطلاق بوتائر مؤثرة وملموسة.

ان التنظيم هو حصن الوضع الذاتي وهو ضمانة الاستمرارية والبقاء، لذلك فان النهوض التنظيمي هو الضرورة التي تتعلق بالبقاء والاستمرارية وتجاوز كل عوامل الضعف المحيطة بالحركة ونضالها.

والنهوض الذاتي التنظيمي يعني:

١- تفعيل الحياة التنظيمية بتفعيل حياة الاطر وأدائها لدورها عن طريق مواصلتها لاجتماعاتها الدورية ومحافظتها على جدول أعمالها بمضمون جوهري وشامل يغطي حاجات العمل والمهمات وكذلك عن طريق تفعيل آلية العمل التنظيمي بحيث يكون التوصيل "من والى" سالكا باستمرار وبحيث تكون العجلة في اطار دورتها الطبيعية ضمن الزخم والوتيرة الفعالة.

٢- مكافحة الظواهر والنزعات الخاطئة وخاصة الخطرة منها مكافحة لا هوادة فيها. لان النزعات الخاطئة هي السرطان الذي يتفشى ويهدد الوحدة وسلامة حياة التنظيم.

وبدون شك فان هذه المكافحة تتخذ الاشكال والاساليب المناسبة وفقا لطبيعة كل ظاهرة او نزعة خاطئة ومدى استفحالها وخطورتها.

وهنا ينبغي للاطر القيادية ان تحدد النزعات الخاطئة دون خوف او تردد وان تضع الخطط لمعالجتها.

ان لجان الاقاليم معنية بهذا الجانب من النهوض الذاتي انطلاقا من الاسس الحركية والنظام الاساسي

ومن الضمير الحركي ومبدأ العدالة التنظيمية.

٣- تطبيق النظام تطبيقا ينسجم مع النص والروحية بحيث لا يتم التفريط بالنصوص ولا يتم التفريط بروحية النظام.

ان انعدام تطبيق النظام يؤدي الى انعدام المعايير والضوابط ومقاييس العمل، وتصبح بذلك الحياة التنظيمية بدون دليل او مرشد او أداة حكم. ويستفحل منهج الفوضى وتنعدم الحماية ويتم تدمير الاطر ودورها.

يجب التمسك الحازم من حيث المبدأ بتطبيق النظام، ويجب ان يكون هذا التطبيق واعيا ويؤدي الى الحكمة من نصوصه والى استلهام روحه ومقاصده.

٤- ومن اجل تحقيق هذا الاستلهام لابد من تلبية الجانب الذي يقتضي المرونة سواء لدى تطبيق النظام او في حياة الاطر. وقد جرى التأكيد على ضرورة استنباط الصيغ الخاصة للهيكل التنظيمي ولعملية التأطير وفقا للظواهر والظروف الخاصة للاعضاء وفي الاقاليم بحيث لا يكون جمود صيغ الاطر عبئا على العضوية ومتناقضا معها او قيدا يؤذيها.

في بعض الظروف فان المرونة وخاصة المرونة الزائدة يمكن ان تؤدي الى انعدام الحزم وتعويم العمل والهياكل، وفي بعض الظروف الاخرى فانها تكون مصدر صلابة وانضباط والتزام. وهنا على القيادات التنظيمية في الاقاليم ووفقا للنظام ان تجيد التفريق بين الحالتين لتتمكن من اعمال قاعدة المرونة اعمالا خلاقا ومتناسبا مع جوهر وطبيعة حركتنا.

٥ - التجديد في الاطر والقيادات والكوادر. ان التجديد واتاحة الفرص الحقيقية للدماء الشابة امر لا بديل له من أجل اي نهوض ذاتي، خاصة وان الكثير من الاطر والكوادر تكون قد استنفذت القدرة على العطاء وحوافز العمل وأصبحت نتيجة لطول المدة في المواقع في حالة من الروتين واستهلاك الذات او اصابتها النزعات الخاطئة وخاصة نزعة صياغة الواقع التنظيمي وفقا للذات ومصالحها او رغباتها وميولها.

ان التجديد في القيادات هو مسألة توفير القدرة على العطاء، وان مسألة المناقلة بين المواقع وتغييرها لدى الكوادر والقيادات التي مازالت قادرة على العطاء الكافي هي مسألة هامة للغاية من اجل تجديد الحوافز ومنع الروتين وعدم نشوء المصالح الخاصة ومراكز القوى. اما الوقوف حائلا في وجه التجديد فانه لا يؤدي فقط الى جعل تدافع الاجيال يؤدي الى نتائج من الصراع والتصادم ولكنه فوق ذلك يؤدي الى الركود وضعف الفعالية وبروز الظواهر والنزعات الخاطئة. واستنفاذ الهمم الشابة الصاعدة في مواقعها والحجر عليها ضمن سقف معين يؤدي الى عدم الاغناء بالحداثة والتنوع والثقافة الناهضة للاجيال.

اذن ينبغي ان يشمل التجديد مواقع الأفراد وحياة الاطر وتشكيلاتها، وان يكون بعد طول التراكم من عدم كفاية التجديد شمولية وكافيا وعلى أساس التواصل والمزاوجة بين استمرارية القادة والكوادر، الذين يتمتعون بقدرة العطاء الكافية، وبين صعود القادة والكوادر من الاجيال التالية.

٦- التطور، اي التطور في الافكار والمفاهيم وصيغ العمل التنظيمي، بل وحتى في خطط العمل لمواكبة المستجدات وبالتالي في أداء مهمات العمل التنظيمي.

ان التطور المطلوب هو تطور النظرية التنظيمية ضمن المدى الذي يعطيه او يقبله النظام، وهو التطور الجريء القادر على رؤية حاجات الواقع.

والتطور لا يتحقق بدون الاستلهام الحقيقي لجوهر الفكرة التنظيمية وامكانيات الاستحداث المقبول والخلاق وحدود النظام في آن واحد.

ومما لا شك فيه ان جميع هذه العناوين النظرية لها مستلزمات عملية واجرائية، والمهم كيف تنعكس اجرائيا وعمليا. لانه من الممكن للتطبيق الخاطىء للفكرة ان يؤدي الى عكسها وبالتالي الى تشويهها واجهاضها.

من المفيد ان يدور الحوار الخلاق في المستويات التنظيمية المختلفة، وان يؤدي هذا الحوار الى القواسم المشتركة من التوجهات والتوصيات وان يكون شاملا من المركز الى الاطراف بحيث يعم الوعي النهضوي ويكون خلاقا ومتلافيا للمحاذير.

فمن المهم كل الاهمية ان يتم النهوض الذاتي التنظيمي بدون مظاهر الخلاف او الصراع او النتائج السلبية وان يتم في اطار الوحدة وعلى أساس النظام.

ان النهوض الذاتي التنظيمي اصبح مسألة لا تحتمل التريث والانتظار ■

موضوعات من الإنتفاضة (٢١)

لنعد الى جماهير الإنتفاضة

■ ثمة أسئلة كثيرة تطرح ذاتها على المعنيين بشأن الانتفاضة، فالعدو الصهيوني من جانبه، يطرح وبشدة ضرورة انتهاء اعمال الانتفاضة بمجرد اعلانه عن تجميد بعض المستوطنات، ويحمل هذه النظرة بقوة اسحق رابين الذي يريد الوصول الى انهاء الانتفاضة تحت اي ظروف .. وهناك في الجانب الفلسطيني من يرى ضرورة وقف الانتفاضة كبادرة حسن نية للوصول الى الاتفاق السياسي مع الكيان الصهيوني في ظل عملية السلام، وهذا البعض يعتقد ان وصول رابين الى السلطة سيقود حكما الى تسوية ما في الوضع الفلسطيني، وطالما ان هذه النتيجة، وثمة اراء اخرى تتمسك بنقد من هنا وهناك حول هذا السلوك او ذاك للانتفاضة دون ان يعبر هؤلاء عن مرادهم من وراء ذلك النقد، وان كان محصلة ما يقولون يصب في طاحونة محاولات التخلص من الانتفاضة، ويتعزز كلام هؤلاء بما يحصل من صراعات واشتباكات بين تنظيمات الانتفاضة..

وثمة مسار اخر لنوعية اخرى من الاراء، ترى ان اللحظات الراهنة والممتدة للاشهر التالية عموما وحتى انتخابات الرئاسة الامريكية خصوصا، تركز على ان تصعيد العمل الانتفاضي وتعزيزه بحركة جماهيرية واسعة يظل الان مطلوبا بقوة، واكثر من اي وقت مضى، ونقطة تركيز هذا الطرح تقوم على توظيف الاداء الانتفاضي في تحسين الشروط الفلسطينية، ويركز هذا الطرح، على ضرورة العودة الى جماهيرية الانتفاضة، وعودتها مرة اخرى الى كل شوارع ومدن وقرى ومخيمات الاراضي المحتلة، ويا حبذا لو تترافق مع حركة اخرى من الجماهير الفلسطينية في داخل الخط الاخضر، تطالب هي الاخرى بالتطبيق الكلي لقرارات مجلس الامن واقامة الدولة الفلسطينية، والمسبوقة اولا بالانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ .

وبدون دخول في تفاصيل يمكن لأي مراقب موضوعي ان يتلمس وجاهة الرأي الثاني، واهمية ما يطرحه سياسيا وتفاوضيا، وان كان الوصول اليه يتطلب ان يتم فورا تلبية عدد من الاجراءات الهامة، أولها التخلص من كل الثغرات القاتلة بين القوى الاساسية في الانتفاضة، وخصوصا الصراعات التي لا مبرر لا لها، كذلك القائمة بين حماس وفتح، او غيرهما من القوى، واتفاق هذه الفعاليات على نقاط عمل واضحة تتعلق بالعودة بالانتفاضة الى حيويتها الجماهيرية الواسعة.

وثانيا ـ ايقاف السلوكيات الانتقامية والتهديدية لبعض الخلايا القائمة على الاقتصاص هنا او هناك تحت دعاوي مختلفة، وان تكون اتجاهات هذه الخلايا العمل الجماهيري الواسع وتعزيزه في هذه الظروف تحديدا.

وثالثها ـ العمل على اشراك اهل العقد والحل من الجماهير في هذا التحرك، والشرح المستمر لاوسع الجماهير اهمية العمل الانتفاضي الواسع في الاشهر القادمة.

ان تلبية هذه الشروط وغيرها من الاحتياجات العملية، تبدو الآن متروكة على عاتق كل القوى في الداخل، مع الابقاء على حالة تنبه كبير لكل الاجراءات التي يمكن ان يلجأ لها نظام رابين، سواء تلك السياسات القائمة على نظرية العصا والجزرة، او الاغرائية، في محاولاته الدؤوبة للتخلص من الانتفاضة قبل ان يقدم في المقابل شيئا حقيقيا في عملية السلام.

ان وجاهة العمل فيما ندعو له، تبدو من ملاحظة، ان الحالة الفلسطينية على الرغم، من هزال وتراجع الحالة العربية قد تقدمت الى الامام، لان العدو في المقابل لم يتقدم وضعه في ميزان القوى على الاقل من الناحية الفلسطينية، بل انه فيما يتعلق بالحالة الفلسطينية يمكن لاي ناظر ان يرى حجم ما حققته من انجازات على مستوى الميادين، وخصوصا مستوى الاعتراف الدولي بحالة المشروعية السياسية الفلسطينية، وعلى امتداد قوى العالم المختلفة. ومن هنا تبدو اهمية العودة الى حركة انتفاضية جماهيرية واسعة، في هذه الظروف على وجه الدقة، انها تعني تعميقا للمسار الفلسطيني في وصوله الى دحر قوات الاحتلال ولو عن اجزاء من الوطن الفلسطيني..

ان الدعوة للعودة الى جماهيرية الانتفاضة، تعني الان فهما لحقائق كفاحية موضوعية، وفهما ناضجا لحقائق سياسية وعملية، والاهم انها تعني تجاوبا مع مسار دحر الاحتلال عن اجزاء من الوطن الفلسطيني، ولذلك على قوانا في كل منطقة وحي وشارع، ان تبدأ الآن بالعمل الواسع للعودة بالانتفاضة الى دورها وادائها الجماهيري الواسع، ولتكن نقطة البداية في التخلص من كل الصراعات الثانوية في داخل صفوفنا، والبدء من المظاهرة السلمية الجماهيرية الكبيرة.

الإنتفاضة

● المواجهة مع العدو الصهيوني فقط

في علم النضال ثمة تمييز مركزي بين جبهة العدو وجبهة الشعب، والمناضل الجيد هو الذي يميز دائما وفي كل الظروف بين جبهته وجبهة العدو، وفي دروس التجربة النضالية الفلسطينية الضخمة، عشرات من التطبيقات في هذا المجال وجميعها تشير، الى أن أي خطأ في تطبيقات هذا القانون، كانت تقود، لأن ينفذ منها العدو الى جبهتنا، أو أن نحمل خسائر كان من السهل تجاوزها لو تمت المحافظة على التطبيقات الصحيحة للخط الفاصل بين جبهة الثورة وجبهة الشعب.

وفي معرض سلوك بعض الخلايا، التي تهوى اللجوء الى السكاكين والمدى في الخلافات الداخلية، وهي تقريبا نفسها التي تلجأ الى استخدام السلاح والتصفيات في حق (العملاء والمشبوهين) كما يحبون أن يطلقوا عليهم. وهو السلوك الخطر جدا والذي نبهنا له مرات، في اعداد سابقة من نشرتنا (فتح). ورغم ذلك لا يزال، مما يعني أن هؤلاء لا يحبذون قراءة تجربتهم على ضوء مصلحة الصراع الطويل مع العدو، ومصلحة الثورة، انما لا يزالون ينخدعون بلعبة القاضي والجلاد التي يمارسونها بفجاجة.

ولنقلب هذه المسالة والمواقف حيالها بالتساؤلات التالية :ـ

ـ أليس الأصل ان كل متهم بريء حتى تثبت ادانته. وللادانة اجراءات قضائية معروفة لدى الدول، ولكن وبما أننا في ظل احتلال العدو، فنقول ان الادانة، لابد أن تتخذ على أعلى المستويات التنظيمية المسؤولة، لتدرس القرائن والأدلة، لما تملكه هذه المستويات من وسائل معرفة واتصال يجعلها قادرة على أخذ القرار العادل أو على الاقل الأقرب للعدالة، في ظل الظروف الموضوعية التي يمر بها شعبنا. فعلى الخلية التي تقرر أن تمارس مثل هذا الأمر، أن ترفع للمستويات الأعلى، معلوماتها وادلتها، ويأتيها القرار بالتنفيذ

ـ على فرض أن (س) من المتعاملين.. فهل تم اللجوء قبل عقابه، الى وسائل الردع، من حيث التنبيه والانذار، والتخويف، والى ما هنالك من أساليب قد تأتي بالنتيجة التي نريد، وهي اعادة المعني الى صفوف شعبه وأمته، وأن يرى أن الصهاينة اعداؤه وأعداء وطنه وشعبه. ان هذه الاجراءات الأولية ضرورية وقد تكون حاسمة في كثير من الأمور فهل اخذتها هذه المجموعات في عين الاعتبار؟!. لان القصد حتى من (القصاص) ان يكون عبرة لا أن يكون لذاته.

ـ هل تمت دراسة ومعرفة كل اساليب العدو في هذا المجال، الذي يريد ان يوهمنا بأن كثيرين يعملون معه، وهل أدركنا أن ظروف الشعب تحت الاحتلال، وسلوك العدو الذي يربط كل أمر من أمور الحياة بمراجعات مع أجهزته، من أجل ان يوقعنا في وهم أن الجميع يعمل معه ويقبل باحتلاله!! فهل تميز المجموعات بين الوهم الذي يسعى له العدو، وبين الحقيقة التي تقول بأن شعبنا بمجموعه كان ولا زال، أقوى من العدو في هذا المجال، بدلالة نضالاته، ومظاهراته، وانتفاضته الشعبية العارمة؟!.

ـ هل تمت دراسة مردود (السلوك) الذي تمارسه هذه الخلايا، وسط الجماهير الفلسطينية، وهل أدت الى ابتهاج الناس وفرحها، أم زادت من غمها، وعدم فهمها لما يجري، ان هذه النقطة مهمة وضرورية جدا، في هذا المجال، لان أي مناضل يبحث من وراء نضاله عن مردود ايجابي وسط جماهيره، طالما من أجلها تحمل الصعاب وانضم لصفوف المجاهدين والمكافحين.. فاذا كانت ترى فيه عقابا مناسبا فهو عمل صحيح، وان رفضته وسخطت عليه، فهو غير صحيح وغير مناسب ولابد من الكف عنه؟؟ فهل عملت هذه الخلايا وانصتت لصوت الجماهير.

ـ ان البندقية والسكين في يد المناضل، قوة للشعب والامة في وجه الغزاة المحتلين، لا قوة على الشعب لانهما بذلك يكونان في صالح الاحتلال، وقسوة هذا المثال، لا تجعلنا ننكر الدوافع الطيبة لهؤلاء الاخوة، وان كانت الدوافع الطيبة لا تكفي لتبرير ان يتحول المناضل الى قاض وجلاد لانه لا يمكن ان تتحقق في ذلك العدالة، كما لا تكفي النوايا الطيبة ضد حجم صراع طويل ومعقد كصراعنا، يحتاج دائما لخط فكري صحيح وصائب، يقدر على اعطاء العلاج المناسب للأمر المحدد.

ـ ان القضية الفكرية الجديرة بالنقاش في هذا المجال، هي، من هو العدو الرئيسي؟ هل هو العدو الصهيوني وجيشه واحتلاله، أم هو افرازات العدو هنا أو هناك، أي عميل هنا وعميل هناك، وهو ما يقودنا، الى تساؤل آخر؟ هل قتل عميل يضعف العدو، أم المواجهة مع العدو هي التي تضعف العميل وتجعله يسرع ليغير مواقفه؟؟ ان هذه المسألة هامة جدا ونحن مطالبون

الانتفاضة

باستمرار على توحيد جبهتنا وفي أساليب نضالنا ضد العدو الصهيوني. ان بعض الخلايا التي نتكلم عنها تملك خللا كبيرا في هذا المجال، فهي لا تدرك ان تناقضها الرئيسي مع العدو الصهيوني رغم كل ما تقول؟! بدلالة ان سلاحها ينحرف عن الاتجاه الصحيح، ونقطة التنشين الاساسية هذا من جهة ومن جهة أخرى، ان هؤلاء الاخوة، لا يدركون تماما طبيعة التركيبة الاجتماعية لشعبنا؟؟ ولو أدركوا هذه المسألة، لعملوا على الأقل بما يدلل على فهمهم الصحيح، بمعنى، أنهم يقدمون أدلتهم حول الشخص المطلوب لعشيرته، ويطالبونها بالاجراء الصحيح والمناسب. وذلك لو مارسوه، لكانوا كسبوا حب العشيرة والجماهير، وتخلصوا من العدو، وفوتوا على العدو فرصة هامة ربما ينفذ من خلالها؟؟!.

- وفي هذا المجال أيضا، لابد لنا أن نؤكد على مسألة لها علاقة بالأمر، وهي أننا مطالبون جميعا بالحافظ على الانتفاضة واستمرارها بزخمها الجماهيري لتضرب في خاصرة العدو الرخوة. فهل هكذا سلوكيات سواء تلك الممارسة ضد (العملاء) أو الاساليب المستخدمة في فض الصراعات التنظيمية، تؤدي للوصول الى هذه المهمة الجليلة؟ الجواب لا.. فهكذا أساليب تطفش الشعب عن الطليعة، فهل يدرك هؤلاء الاخوة أي أمر يصيبون؟

ان السلاح للمواجهة مع قوات الاحتلال، وللدفاع عن الشعب وان المناضلين يعملون باستمرار لتستمر الانتفاضة بقوة الزخم الجماهيري وخصوصا في هذه الاوقات، التي يلجأ فيها العدو، لاقسى الاساليب القمعية بهدف انهاء الانتفاضة، والقضاء على القوى الطليعية النشيطة، فلنعمل جميعا على تفويت الفرصة على العدو، بالتخلص مما هو خاطىء، والتحلي بكل سلوكيات النضال التي تمضي بالانتفاضة الى آفاق أرحب وأوسع حتى يتم دحر الاحتلال عن أرض الوطن الحبيب.

● الانتفاضة بين التطوير وظروف القمع

تجلت عبقرية الأداء النضالي لشعبنا في تفجير انتفاضته الجماهيرية منذ سنوات أربع، وكتتويج رائع لكل العطاءات الوطنية والخبرة التي تراكمت منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية فجر الأول من عام ١٩٦٥م، وتجلت تلك العبقرية انها اخذت العدو في خاصرته الضعيفة، أي في داخل الأراضي المحتلة، التي اعتبرها اراضيه ودولته (الحلم)... ومنذ البداية تجلى أن نقطة ضعف الأداء الفلسطيني للانتفاضة تمثل بالخارج العربي.. تماما مثل تجربة الثورة الفلسطينية في حرب لبنان سنة ١٩٨٢، التي شاغلت باقتدار ثلث الجيش الصهيوني مشاغلة جدية وطويلة لمدة ثلاثة أشهر، وكانت الثغرة الاساسية ايضا، في ان الخارج العربي لم يتحرك لاغتنام هذه الفرصة!!؟ "الاسباب متنوعة جوهرها (عجز الراهن العربي). ورغم ذلك تستمر الانتفاضة في عامها الخامس، في ظروف عربية أكثر عجزا، من مرحلة بدايات الانتفاضة ومن مرحلة حرب لبنان ١٩٨٢، وخصوصا مرحلة بعد حرب الخليج التي اختل معها ميزان القوى اختلالا شديدا لغير مصلحة الامة، فانطلق العدو ومنذ تلك المرحلة، بممارسة القمع الشديد ضد الانتفاضة، والذي ازداد عنفا وشراسة، مع بدء عملية السلام، ويرمي الصهاينة من وراء هذه السياسة العنيفة، ليلقي برأس الانتفاضة على مائدة التفاوض، طارحا للجميع نظريته القديمة، على ماذا تفاوضون؟ الجماهير بالداخل هادئة وراضية، في الوقت نفسه يسقط من يد منظمة التحرير الفلسطينية، ورقة فعلها الاساسية في ميزان القوى.

هذا الواقع بصورته القائمة، هو ما يجب أن تنشد اليه، كل الانظار، وهي ترصد الحركة العنيفة التي يمارسها العدو.

والسؤال الكبير هو، ماهو الاسلوب الذي نستطيع به، ان نجعل سلوك القمع الصهيوني سلوكا مكلفا بالنسبة له؟ تكلفة بشرية وتكلفة مادية، حتى نخلق ميزانا جديدا يجعل العدو يحسب جيدا، قبل ان يقرر التصعيد. وقبل البحث عن أفضل السبل التي تحقق ذلك الهدف، لابد أن نؤكد على هدف آخر ثابت ومستمر وهو الحفاظ على الانتفاضة بجماهيريتها، حتى وان كانت الانتفاضة، تتطلب في هذه المرحلة، اعادة قراءة على ضوء تحقيق الهدف السياسي البعيد، بمعنى كيف تحدث التأثير المطلوب، في الوقت الذي تتيح فيه للجماهير ممارسته اليومية والعمل في مصالحها الخاصة، وايضا ضمن حالة استمراريه الانتفاضة، وذلك يعني ان الهدف الاساسي مما يتعلق بالانتفاضة استمراريتها ضمن التأثير على العدو ومعادلة ان تحافظ الجماهير على مصالحها اليومية. وانطلاقا من هذا الهدف تبدو المهام الاخرى للمناضلين واضحة، وهي مجابهة عنف العدو بضربات موجعة ومؤثرة هنا وهناك أي أن تكون شديدة التأثير على العدو وتجبره على الحسابات الكبرى، وان تكون شديدة التأثير الايجابي على ارتباط الجماهير الفلسطينية بطلائعها المناضلة.

ان الربط المحكم بين العمل العنيف والعمل

الانتفاضة

الجماهيري القائم، لابد ان يظل كهدف واضحا وجليا ونحن نقر العزم على مواجهة عنف العدو، فمن قانون العين بالعين والسن بالسن، والسيف بالسيف، وايضا ضمن امكانياتنا وقدراتنا المتاحة، فلا يكلف الله نفسا الا وسعها. وهذه المعادلة من جانب آخر ضرورية لان العدو الصهيوني وكما قلنا في أكثر من مجال في نشرتنا - سيلجأ باستمرار للعنف باعتباره قانونه وأداته في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية، وفي مواجهة الامة العربية ككل.

ان تطوير الانتفاضة، يظل مرتبطا بكل الاذهان، بكيفية الحفاظ على جماهيريتها الواسعة أيضا. ولكن الظروف الاقتصادية والتي ازدادت تأزما بعد الظروف الناشئة عن نتائج حرب الخليج، تفرض على ان يتم هذا الامر ضمن معطيات الحفاظ على مصالح الناس، اي أن نقلع - ربما - عن الطلب المستمر بالاضراب، وان نعيد النظر في ساعات الاضراب، وان نلجأ الى التواريخ المتباعدة والمرتبطة بأحداث هامة، لتشهد هذه التواريخ الحركية الجماهيرية الواسعة، لمدة معينة، ونعود بعدها لممارسة الحياة اليومية... وهكذا نستطيع ان نحافظ على الهدف، وان نراعي في نفس الوقت الواقع الاقتصادي لجماهيرنا في ظل الوضع العربي المتأزم.. وايضا ربما يكون تكتيك التحركات المناطقية والمتبوعة بعد استنفاد الاغراض، بالحركة الشاملة. أسلوبا آخر وناجعا في هذه الأوقات.

ان الصورة القائمة تبدي على شكل واضح، ان الكيان الصهيوني يبذل جهده كله، المخابراتي القمعي لوأد الانتفاضة. بينما المناضلون الفلسطينيون من جهة أخرى يعملون على استمرار الانتفاضة في وضع اقتصادي صعب، وقمع شديد من آلة العنف الصهيوني، وهذا المشهد حين يرى كما هو، يكون قادرا على الهام الرجال الطرق الاكثر صحة، لاختيار اساليب ملائمة تحفظ الانتفاضة وتفوت على العدو الصهيوني رغبته وأهدافه..

● العلاقة بين الفلسطيني وراء الخط الأخضر والذين أمامه

البداية من حقيقة أساسية، هي أن الشعب الفلسطيني واحد وموحد في كل أماكن تواجده، ولكن ظروف وطبيعة العدوان الصهيوني، جعلت واقع الشعب الفلسطيني مقسما ما بين داخل وخارج، وبين داخل مقسم ايضا ما بين احتلال عام ١٩٤٨ واحتلال عام ١٩٦٧، والخارج ايضا هناك التجمعات الفلسطينية في الاردن ولبنان وسوريا والخليج، والجالية الفلسطينية في المهاجر الاوروبية والامريكية، وما يمكن ان يعتبر نجاح اساسي للثورة الفلسطينية المعاصرة، انها وحدت هذا الشتات وبعثته برؤى سياسة واحدة، واداء سياسي عبر مؤسسة وطنية قائدة هي مؤسسة منظمة التحرير الفلسطينية، وجعلت من مأساة هذا التوزع للجسم الواحد، مجالا لتنوع الاداء والواجب الوطني الذي تصب محصلته في اطار مركزي واحد.. اطار منظمة التحرير الفلسطينية.. ان هذا الاداء الناجح لمنظمة التحرير الفلسطينية، يفرض نفسه على اداء أي قيادة محلية فلسطينية في واقع ما... أي ان تعمل على توحيد الجهود وكلها في اطار العمل السياسي الموحد لـ منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي داخل فلسطين، حيث للأمر اشكاليات من نوع جديد بحكم ما يخضع له عرب ١٩٤٨م من قوانين واجراءات وتجربة خاصة، وبين فلسطين احتلال عام ١٩٦٧م في الضفة والقطاع، ومنذ يوم الارض في ٣٠ آذار ١٩٧٦، ونهوض الحالة الجماهيرية الفلسطينية في أراضي ١٩٤٨م، حدث نوع من التناغم بين الحركتين الجماهيريتين تعمق في بدايات الانتفاضة، وارتقى الى اشكال أعمق - نحن لا نتناول بالحديث نمط العمل المسلح الذي ينظر الى فلسطين كوحدة واحدة في عمله واطاره وأساليبه بل العمل الجماهيري الواسع الذي تتحكم فيه الظروف العامة والخاصة - مع بداية الانتفاضة سنة ١٩٨٧م، سواء في أشكال الدعم المادي، او اشكال المناصرة الاخرى.. الا أنه ولسبب أو لآخر، لم ترتق مستويات التداخل الى حدود التناغم المشترك في الأداء، ولا الى مستوى الطموح الذي كان منتظرا، وفي تفسير ذلك يمكن ان تنهض عشرات الاسباب من هذا النوع أو ذاك، ولكن حتى هذه الاسباب لا تنفي ان هناك قصورا في هذا المجال، لو تمت اعادة القراءة له ولاسبابه، لامكن تلمس آفاق اخرى وجديدة وغنية، تضاعف من تاثير الحالة الفلسطينية، وتحسن من الشروط المطلوبة على هذا الجانب وذاك.. ان الـ ٧٥٠ الف نسمة من فلسطيني الـ ٤٨ المزروعين بالوطن حياة وارتباطا، كانوا ولازالوا، شاهد الوطن، وشاهد حقنا في الارض والهوية والاستقلال. وبالطبع ان لهم ظروفهم مثلما لكل موقع فلسطيني ظروفه، وان يبقى على كل موقع، ان يرتقي الى مستوى الأداء العام اسهاما وعطاء، على طريق الانجاز الوطني في الحرية والاستقلال، ان هذه القراءة الاولية لا تدعي سواء محاولة مقاربة من موقع جماهيري مهم له دوره وعطاؤه في ظل النضال الوطني الفلسطيني الطويل حتى يتحقق الهدف الوطني.

وثورة حتى النصر

قضايا دولية

أضواء على نكبة مسلمي البوسنة والهرسك

يبدو ان الحلول السياسية لمأساة مسلمي البوسنة - الهرسك مستبعدة في الوقت الحالي، لذلك تتجه جهود أوروبا وأمريكا والأمم المتحدة نحو ايجاد مخارج انسانية مؤقتة. اذ أن الولايات المتحدة الامريكية ليست على استعداد لـ"عاصفة البلقان"، وقد علمت تجربة "عاصفة الصحراء" الرئيس بوش أن زهوة النصر في الخليج لم تكن الا وهما بدأ بالخفوت على ابواب المعركة الانتخابية الحامية.

لقد كشفت المأساة أوجه القصور فيما يسمى بـ "النظام الدولي الجديد"، اذ من المحتمل أن تتعرض أوروبا الى هزات عنيفة، قد تتعداها الى منطقة الشرق الاوسط. ولسان حال الولايات المتحدة الامريكية في كل ذلك هو "انظروا كيف تبدو الدول الأوروبية قليلة الحيلة وغير قادرة على الحركة من دون مشاركة الولايات المتحدة". وفي الحقيقة فان قدرة اوروبا على تحقيق وحدتها يجري اختبارها -الآن - في البوسنة والهرسك.

ومن جهة أخرى، يصعب فهم الصراع بين جمهورية البوسنة - الهرسك وجمهورية صربيا دون معرفة الخلفية التاريخية والتركيبة العرقية لشبه جزيرة البلقان. فمن الناحية الجغرافية، تقع البوسنة والهرسك وسط ما كان يعرف بيوغسلافيا، وتحيط بها كرواتيا من الشمال والغرب والصرب من الشرق والجبل الاسود في الجنوب الشرقي. وقد اتخذت البوسنة اسمها من النهر المعروف بهذا الاسم في اللغة الكرواتية، أما الهرسك فقد اتخذت اسمها من الكلمة الألمانية (herzog) وتعني الدوق. وقد استوطن الصرب والكروات المنطقة منذ القرن السابع الميلادي، وفتحها العثمانيون عام ١٤٦٣ وظلوا يحكمونها حوالي خمسة قرون تركوا خلالها بصمات واضحة في تاريخ الاقليم وثقافته. ويشكل المسلمون نحو ٤٤٪ من سكان البوسنة - الهرسك البالغ عددهم ٤,٣ مليون نسمة، ويشكل الكرواتيون ١٧٪ والصرب ٣٢٪.

ومنذ قرابة الأربعة أشهر تعيش سرايفو عاصمة البوسنة حالة حصار شامل، فيما عجزت الأطراف الدولية الفاعلة تجنيب السكان المدنيين ويلات المذابح والجوع والأوبئة. حيث استطاع الصرب السيطرة على ثلثي البوسنة والهرسك، فضلا عن قتل آلاف المسلمين وتهجير ما يقرب من مليونين الى الاقطار المجاورة. ومن الصور المروعة التي تناقلتها الألسن قول أحد مسؤولي قوات الامم المتحدة "هذه الحرب ليست حربا عادية.. فقد سمعنا قصصا عن عائلات مسلمة فرض الصرب على رجالها ونسائها وأطفالها السير وسط حقول الألغام، لكي تنفجر الألغام بهم، ويتطايروا الى اشلاء".

وتعود المأساة الى أوائل السنة الجارية حين أعلنت الاقلية الصربية، في سياق تزايد نزعة اقامة دولة الصرب الكبرى، استقلالها واقامة جمهورية خاصة بها، وطالبت بالانضمام الى ما تبقى من الاتحاد اليوغسلافي. وتعهدت السلطات في البوسنة بعدم السماح للأقلية الصربية فيها بالاستقلال، وأعلنت عن عزمها اجراء استفتاء حول مصير وسيادة الجمهورية. وأعلنت الأقلية الصربية معارضتها

لهذا الاستفتاء، واعتبرته "اعلان حرب" وأكدت عدم التزامها بما سوف يتمخض عنه. وفي محاولة لتجاوز هذا التباين اتفقت الفعاليات والزعامات السياسية للمسلمين والكروات والصرب في مؤتمر لشبونة، شباط / فبراير١٩٩٢، على بقاء البوسنة - الهرسك ضمن حدودها، وأن يتم فيها تشكيل ثلاث دول قومية اتحادية (اسلامية - كرواتية - صربية) تتمتع بقدر كبير من الاستقلال الذاتي. ووسط تزايد اصرار الصرب على عدم المشاركة في الاستفتاء ما دام لايضمن ارتباطا للبوسنة - الهرسك مع جمهورتي الصرب والجبل الاسود في اتحاد يوغسلافي جديد، تزايدت احتمالات تفجر الحرب الاهلية، مع كل ما تنطوي عليه من كارثة انسانية نظرا الى تعايش القوميات في المناطق والقرى والبلدان نفسها وعمق تداخلها الاجتماعي.

وعندما جرى الاستفتاء أسفر عن موافقة ٧٠٪ من السكان على الاستقلال، وتم اعلان انشاء الجمهورية المستقلة في أول آذار / مارس١٩٩٢، واعترفت بها الولايات المتحدة والمجموعة الاوروبية في ٧ نيسان / افريل. وقد تنافسفي الانتخابات الأحزاب الثلاثة القومية: الحزب الديمقراطي الاسلامي - الحزب الصربي - الحزب الكرواتي. ولكن الصرب رفضوا استقلال البوسنة والهرسك، ودعم الجيش الاتحادي اليوغسلافي (وهو أصلا من الصرب حيث يشكلون ٨٠٪ من ضباطه وجنوده) مليشيات الصرب في الجمهورية، وقاموا بحرب ابادة للمسلمين، حيث قتل منهم حوالي ربع مليون.

ومما يجدر ذكره ان أطماع الصرب في جمهورية البوسنة - الهرسك تتمثل في الاستيلاء على الجزء الأكبر الذي تتوافر فيه الموارد الطبيعية، وكذلك أكبر ميناء على البحر. كما أن اهمية الجمهورية ترجع الى وجود ٦٥٪ من مصانع السلاح اليوغسلافي على أرضها. يضاف الى ذلك أن القوات الصربية تطمع في تحقيق اتصال على الارض بين كل الجيوب الصربية الواقعة عبر الحدود المحلية في أراض كرواتيا والبوسنة - الهرسك، وعندها ستتحول الى الداخل لاقتلاع المجموعات غير الصربية التي تعيش في صربيا منذ قرون عدة (خاصة المجموعات السكانية الهنغارية، والألبان المسلمون، الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان اقليم كوسوفو).

وازاء حمامات الدم والمذابح البشعة جرت تحركات دولية محتشمة أسفرت، في ٣٠ أيار / مايو ١٩٩٢، عن اصدار مجلس الأمن للقرار رقم (٧٥٧) الذي فرض حظرا تجاريا وبتروليا وجويا شاملا على جمهورية الصرب، من أجل حملها على وقف العدوان على جمهورية البوسنة - الهرسك وسحب القوات اليوغسلافية من أراضيها.

وتعود آليات التفكك الحالية الى النظام اليوغسلافي الذي أقامه الزعيم تيتو، حيث حرص على أن يقرر المواطن اليوغسلافي ، سواء كان صربيا أو كرواتيا أو سلوفينيا، أو مقدونيا، أو مونتغمريا، أو بوسنيا، حق الاقامة في اية من الجمهوريات اليوغسلافية دون تمييز، مما فتح في المجال أمام الأكثرية الصربية كي تتواجد بكثافة في الجمهوريات الاخرى، خاصة في كرواتيا والبوسنة - الهرسك. وعندما تطلعت سلوفينيا وكرواتيا الى الانفصال عن الدولة الاتحادية وتحقيق الاستقلال، كان باستطاعتهما الاستعانة بآلية اقرها الدستور الاتحادي لانجاز هذا الهدف، بالرغم من المواجهة العسكرية التي تمت مع الصرب وخاصة في الحالة الكرواتية.

لقد كانت جمهورية سلوفينيا وكرواتيا من أنصار النمط الكونفدرالي الفضفاض، بينما عارضت صربيا هذا النمط نظرا لوجود ثلاثة ملايين صربي يعيشون خارج صربيا، تخوفا من أن يتحولوا الى اقليات صغيرة في وحدات الاتحاد الكونفدرالي، لذا دعت الى النمط الفيدرالي المحسن. ونظرا لتزايد التناقضات بين النمطين فقد قدم مسلمو البوسنة - الهرسك نموذجا وسطا يقوم على أساس تحويل يوغسلافيا الى اتحاد يضم جمهوريات ذات سيادة.

ولأن الولايات المتحدة الأمريكية تهدف الى القضاء نهائيا على بقايا النظام الشيوعي في يوغسلافيا والذي يمثله الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش مع كل التناقضات التي يحملها كشيوعي وقومي صربي

قضايا دولية

ومتعصب دينيا، فقد برز على الساحة ميلان بانيتش رئيس وزراء يوغسلافيا الجديدة (صربيا والجبل الاسود) ذو الجنسية الأمريكية، الذي انتزع وعدا من الادارة الأمريكية بعدم التدخل العسكري، شريطة أن يظهر كرجل سلام.. وفي هذا الاطار تندرج زيارته الى البوسنة ولقاءه هناك مع رئيس البوسنة عزت بيخوفيتش بهدف التوصل الى السلام، فيما اذا استطاع السيطرة على الميليشيات الصربية. وكذلك تصريحاته الى صحيفة "بايس" الاسبانية، يوم ٢٨ تموز/ يوليو الجاري، التي وعد فيها اعادة الأراضي المحتلة التي لاتنتمي الى الصرب، واقترح تقسيم البوسنة - الهرسك الى ثلاثة أقسام: صربي واسلامي وكرواتي، بشكل مؤقت لضمان أمن السكان، وبعد ذلك يمكن للاجئين العودة الى ديارهم واجراء انتخابات جديدة؟!.

وفي الجانب الآخر، يعتقد مسلمو البوسنة - الهرسك أن اتفاق الصداقة والتعاون الذي وقعه رئيسهم مع الرئيس الكرواتي سوف يقوي موقفهم على قاعدة أن النظام الدستوري والسياسي للجمهورية سيكون على أساس "وحدات تأخذ في عين الاعتبار الجوانب الوطنية والتاريخية والثقافية والاقتصادية لكل من المجموعات المكونة للجمهورية". ومما زاد من أوهام المسلمين أن العناصر المسلحة من السكان الكرواتيين في البوسنة سيكونون فصيل من القوات المسلحة الموحدة للبوسنة - الهرسك. كما بدا انهم يعلقون آمالا على نتائج الانتخابات الكرواتية، التي ستجري في أوائل الشهر القادم، حيث تبدي زعامة سراييفو تفاؤلا بحدوث تحول ملائم في موقف زغرب نتيجة الانتخابات.

ويرى المحللون أن الولايات المتحدة الأمريكية تتعاطى مع الملف اليوغسلافي انطلاقا من رغبتها في اشغال أوروبا عن أن تلعب دورها كقطب دولي وازن في العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة، لذا فهي تشجع صربيا، صاحبة النزعة القومية المتطرفة، لضمان التوازن الاقليمي في البلقان، وفي الوقت نفسه تشجع نزعات الاستقلال لدى الجمهوريات الأخرى. ويتضح الموقف الأمريكي في جواب الرئيس بوش على صحافي سأله: **لماذا لا تواجه أمريكا جوهر المشكلة السياسية في البلقان وتتدخل لحماية البوسنة والهرسك ضد عدوان قائم عليها من دولة أخرى؟ فاجاب: أننا لن نستخدم القوات الامريكية لحل مشكلات سياسية ....!!** بينما يرى أستاذان من اساتذة علم الاجناس هما: توني بريغا (من جامعة برغن بالنرويج) ودرو كلادني (من جامعة كاليفورنيا) أن تحرير سراييفو واراضي البوسنة من العدوان الصربي ليس مجرد مساندةانسانية لحقوق المسلمين، بل هي دفاع عن المجتمع الحضاري الذي يقوم على تعدد الأجناس والديانات. واضاف الاستاذان أن المسلمين أعطوا مثالا في التسامح والتفتح الحضاري وعدم التعصب عندما قبلوا أن يعيش الصرب والكروات في مدنهم وقراهم.

والجدير بالملاحظة أن اوروبا كانت حريصة على عدم التفريط في كيان يوغسلافيا الاتحادي، لأنها لم تكن تريد "سابقة" لعمليات انفصال تصاحب أكثر اللحظات حرجا في عملية اندماجها. ومع ذلك، فان اطرافا أوروبية، وفي مقدمتها ألمانيا، وبدرجات أقل النمسا والمجر وايطاليا، قد أظهرت توجهات أشعرت بأن لها مصلحة في عدم الاصرار على وحدة يوغسلافيا. وهذا في الحقيقة موقف منسق، لا مع روابط تاريخية ربطت ألمانيا مع الكروات فحسب، بل ايضا مع سعيها المعاصر الى النهوض بدور بارز في قطاعات واسعة من شرق أوروبا. ولكن ذلك لم يمنع أوروبا من أن تعين اللورد كارينتون مبعوثا أوروبيا من أجل محاولة ايجاد حل للأزمة اليوغسلافية.

لقد أصاب الاعتراف الاوروبي باستقلال سلوفينيا وكرواتيا عصب الطموحات والنزعات القومية نحو الاستقلال وحق تقرير المصير، وعمل على تسريع وتيرتها. ولكن السياسة الأوروبية اتسمت بازدواجية المعايير: ففي حين أسرعت بالموافقة على استقلال كرواتيا وسلوفينيا، فقد اتسم موقفها تجاه مقدونيا والبوسنة - الهرسك بالتريث والتسويف، لاعتبارات ومعادلات سياسية ومصلحية. وقد التقطت القيادة الصربية هذه الازدواجية فضربت بعرض الحائط العديد من

قضايا دولية
قضايا دولية

اتفاقيات اطلاق النار في البوسنة - الهرسك التي رعاها المبعوث الأوروبي، وآخرها اتفاقية لندن في أواسط شهر تموز / يوليو الجاري وهي الاتفاقية التاسعة والثلاثون في سلسلة اتفاقيات الهدنة.

وفي حين ان فرنسا، على لسان وزير خارجيتها، طالبت بعقد مؤتمر دولي حول يوغسلافيا يعالج المشاكل الجذرية ويجبر الاطراف على احترام الهدنة. وقبل ذلك عكست مبادرة الرئيس الفرنسي بزيارته سراييفو الحرص الفرنسي على انقاذ الجمهورية الصغيرة من نيران مدافع القوات الصربية التي تحاصرها. وكانت القيادة الفرنسية، عقب قمة لشبونة، تدفع باتجاه البحث عن امكانية التدخل العسكري الاوروبي تحت لواء المجتمع الدولي، ولكنها لاقت فتورا من الولايات المتحدة والأمم المتحدة. بينما أكتفى المستشار الألماني بلوم شركائه الاوروبيين لتأخرهم في الاعتراف باستقلال سلوفينيا وكرواتيا في العام الماضي، ولترددهم اليوم في ايواء اللاجئين هربا من القتال في البوسنة - الهرسك. أما بريطانيا فهي تؤيد اقتراح المبعوث الاوروبي اللورد كارينتون القاضي بأن تكون البوسنة - الهرسك دولة موحدة ومؤلفة من ثلاث كانتونات. أما روسيا، فقد دعت على لسان رئيسها يلتسين الى اتخاذ اجراءات صارمة لأن **"وباء التطرف القومي قد يصبح الطاعون الحقيقي للقرن المقبل، وتفشي هذا الوباء قد يخرج عن نطاق السيطرة ويمسك بخناق الجميع بسرعة هائلة".**

ولذا، فان حصيلة محادثات لندن الاخيرة لم تكن مشجعة، اذ كرر ممثلا الطرفين الصربي والاسلامي في البوسنة - والهرسك مواقفهما المتعارضة، فقد ذكر ممثل الصرب رادوفان كارادزيتش ان الهدف من هذه المحادثات هو التوصل الى فصل المجموعات القومية الثلاث: الصرب والكروات والمسلمين، واقترح ان يتم هذا التقسيم عبر الخط الاخضر الذي يرسمه جنود الامم المتحدة، بينما اتهم ممثل المسلمين الصرب باستخدام المحادثات غطاء لمواصلة احتلالهم لمزيد من الاراضي وارتكاب المجازر.

وفي هذا السياق يمكن رؤية تردد الامين العام للامم المتحدة في الموافقة على بيان مجلس الامن الدولي المتعلق بارسال قوات اممية جديدة تتولى حفظ السلام ونزع سلاح الاطراف المتنازعة وذلك تحت حجة تناقص موارد الامم المتحدة!. وقد اعرب المبعوث الاوروبي كارينتون عن رفضه للانتقادات التي وجهها بطرس غالي بشأن الهدنة المتداعية في البوسنة - والهرسك، وكذلك عن تردده بشأن بيان مجلس الامن.

وهكذا، نكاد نلمح بداية التقسيم الفعلي لجمهورية البوسنة - والهرسك، الامر الذي سيقود في المستقبل الى تفكيك اوصال الجمهورية المنكوبة ويسمح - فيما بعد - بانضمام كل كانتون الى جمهورية اكبر سواء كانت صربيا او كرواتيا. واذا كانت جريمة الصرب الدامية في حق مسلمي البوسنة والهرسك قد برزت في الاشهر الاخيرة، فان ثمة جريمة دائمة بحق مسلمي كوسوفو المغتصبة والمأسورة داخل الحدود الصربية ذاتها. لذا، فان اقتراح كارينتون عقد مؤتمر دولي حول كوسوفو رفض من قبل القيادة الصربية لان الامر يتعلق بمسألة محض داخلية حسب تعبير سلوبودان ميلوشوفيتش.

واخيرا، يبدو ان المأساة ونكبة مسلمي البوسنة والهرسك قد تحولت الى مجرد مسألة لاجئين يبحثون عن ملجأ، ويظهر ذلك جليا في محادثات جنيف التي بدأت اواخر الشهر الجاري بحضور خمسين دولة لتأمين اماكن لجوء لما يقرب من مليوني بوسني، مما اثلج صدور المتطرفين الصربيين الذين يشجعون مسؤولي الامم المتحدة على اجلاء المسلمين من البوسنة والهرسك.

لقد كان تعداد المسلمين في البوسنة والهرسك قبل بدء هجمات الصرب عليهم اكثر من اربعة ملايين.. وقد تم قتل وجرح نصف مليون منهم وترحيل مليونين ربما لاجل طويل، كما جرى مع شعبنا العربي الفلسطيني في نكبة العام ١٩٤٨. وازاء هذه الجريمة البشعة في حق المسلمين هناك نجد الوضع العربي والاسلامي كعادته غير مبال، كما هو الحال في موقفه من الحصار المضروب على الشعب العراقي الشقيق منذ ما يقرب من سنتين، فالى متى ستستمر هذه اللامبالاة العربية والاسلامية؟ ■

حزب العمل : سياسة قديمة بثوب جديد

■ بدأت تلوح ملامح مرحلة جديدة في مسألة التسوية المطروحة لحل الازمة في الشرق الاوسط، فكأن هناك من يحرك خيوط اللعبة، او كأن سيناريو قد وضع وبدأنا نشهد مرحلة الحديث عن الشروع في تطبيقه.

والحد الفاصل الذي انهى اسلوبا قديما في التفكير الاسرائيلي التوراتي، وفتح الباب امام اسلوب جديد اكثر عصرنة وحداثة، واكثر ذكاء ودهاء، واشد مكرا وخبثا.. هو الحد الفاصل بين سياسة اسرائيلية شاخت وبليت، ولم تعد تأخذ بعين الاعتبار ضرورة التماهي مع مستجدات العصر، وهي سياسة شامير التوراتية التي تجد مرجعيتها في الخرافة، وبين سياسة تلبس حذاء النظام الدولي الجديد، وتبدو جذابة وبراقة، هي سياسة رابين..

وعلى الرغم من ان البعض قد ابدى تفاؤله بالسياسة الاسرائيلية التي ينتهجها رابين، فاننا لا نستطيع ان نجزم ان هناك حلا سياسيا يمكن ان يرى النور، فالذي نراه اليوم هو استبدال كلمات مهجورة في القاموس السياسي وادخال منظومة الدبلوماسية الاسرائيلية كلمات حديثة وانيقة، ومحاولة تجميل الوجه القبيح للكيان الصهيوني.

فالسياسة الاسرائيلية ايام شامير وضعت الكيان الصهيوني في عزلة عالمية، ووضعته في مأزق مع الولايات المتحدة واوروبا.

ففي الوقت الذي كان فيه شامير يبني مستعمرة كلما بدأت جولة من جولات المفاوضات، فان رابين الذي حاول ان يقدم صورة اخرى عن "اسرائيل"، اعلن عن وقف الاستيطان السياسي وابقاء الاستيطان الامني، دون ان يعرف احد حدود السياسي والامني او تفسير ذلك وتعريفه وتحديده. اي انه لم يلتزم بشكل واضح ومحدد بوقف الاستيطان، ولكنه اعطى صورة جديدة، جذبت اليه تعاطف اوروبا، وترحيب امريكا، وانفتح الباب امام ضمانات القروض.

ورافق ذلك تصريحات مرنة لرابين، وبيرس، وزيارة رابين الى مصر..

وان قراءة دقيقة للوضع الراهن لحركة السياسة الاسرائيلية يمكن ان يضع امامنا الحقائق التالية:

اولا: تفهم "اسرائيل" لمصالح الولايات المتحدة، واعادة الحيوية للعلاقات الاستراتيجية القائمة بينهما، وهو التفاهم الذي بموجبه ضمنت الولايات المتحدة دائما أمن "اسرائيل" وضمنت تفوقها النوعي على مجموع الدول العربية، واقامت لذلك الجسور الجوية، وزودتها بالمعلومات الاستخبارية.

ان رحيل شامير كان كما يبدو ضرورة لاعادة الحيوية للعلاقات الامريكية الاسرائيلية.

ان المرونة التي يبديها حزب العمل الذي يتولى السلطة الان تمثل التفاهم المتبادل بين مصالح الطرفين، باعتبار ان مصالحهما المشتركة تخدم سياسات كل منهما، وتخدم سياسات "اسرائيل" بشكل خاص.

ثانيا: حصول "اسرائيل" على ضمانات قروض ومساعدات مالية من الولايات المتحدة بشكل خاص، ومن بعض دول اوروبا، مثل المانيا التي ستساهم الصورة

البراقة لحزب العمل على تسهيل تمريرها.

لقد منعت سياسات شامير "اسرائيل" من الحصول على هذه المساعدات، في الوقت الذي تفاقمت فيه الازمات الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا فان رابين انتهج السياسة التي تمكنه من الحصول على المساعدات، اذ بدون المساعدات فان "اسرائيل" لا تستطيع ان تستمر وان تعيش.

واعلن رابين ان حل مشاكل اربعة ملايين يهودي داخل "اسرائيل" اهم من حل مشاكل مائة وعشرين الف مستوطن في الضفة وغزة.

وهكذا فان هذه المساعدات سوف تسهم في حل المشاكل الاقتصادية، وفي استيعاب المهاجرين واسكانهم وتوفير فرص العمل لهم، وهذا يصب في منح الكيان الصهيوني القوة الكافية لابقاء تفوقه النوعي.

ثالثا: ترغب "اسرائيل" في تحقيق مكاسب جديدة حتى قبل ان تصل المفاوضات الى انجاز تقدم ما، وتعكس تصريحات (شمعون بيرس) لمجلة المصور في عددها الاخير ملامح التحرك الدبلوماسي الجديد، فقد اشار بيرس الى مطلب انهاء المقاطعة الاقتصادية العربية مقابل وقف الاستيطان. هذا التصريح المعلن، يوضح ان هناك قضايا في الدرج، ستطرحها "اسرائيل" في الوقت الملائم لتطبيع علاقاتها مع الدول العربية قبل تحقيق اي انجاز في المحادثات.

رابعا: تعمل "اسرائيل" على تفتيت الوضع العربي، واذكاء الخلافات العربية، ووضع اسفين بين الدول العربية المشاركة في المفاوضات.

وتحاول بهذا الصدد الاستفراد بكل طرف على حدة، وتوحي بانها ستحل هذه القضية وتعلق تلك القضية. وهذا ما تنبهت له دول الطوق في اجتماعها الاخير في دمشق، حين اعلنت رفضها لسياسة الاستفراد، واصرارها على الحل الشامل.

خامسا: تحاول "اسرائيل" الاستفادة الى اقصى الحدود من الادارة الامريكية، وهي على ابواب الانتخابات الرئاسية، فـ"اسرائيل" تعلم علم اليقين ان الادارة الحالية تريد انجاز شيء وهي على ابواب الانتخابات، لذلك فان الملفات التي سيحملها رابين ستجد الاهتمام الكبير من قبل الرئيس بوش لدى لقائهما في واشنطن عشية الانتخابات، فاصوات اليهود هامة في هذه اللحظات التي يحلم فيها بوش بفترة رئاسية جديدة وهو يواجه خصما عنيدا (كلينتون).

وان رابين الذي يفهم كيف يوائم ما بين مصالح "اسرائيل" ومصالح الولايات المتحدة، ايا كان الحزب الفائز، وايا كان المرشح الذي سينجح، سيحاول الحصول على اقصى ما يمكن الحصول عليه مستغلا لغته الجديدة واسلوبه الجديد.

ومن هنا، فان الحكومة الاسرائيلية، تفضل ان تتم الجلسة القادمة للمفاوضات بعد قمة رابين بوش، بعد ان تكون قد حصلت على ضمانات القروض، وبعد ان تكون قد اعادت بشكل قاطع العلاقات الاستراتيجية الى سابق عهدها.

ان اخطر ما يمكن ان يواجه المفاوض العربي، ذلك الانسجام الجديد بين الموقفين الاميركي والاسرائيلي، وعند ذلك سيصبح الطرف العربي هو الطرف الذي يقع تحت دائرة الضغط. ان تصريحات بيكر الاخيرة يمكن ان تصب في هذا الاتجاه، تلك التصريحات التي تقول ان "اسرائيل" اعطت الاشارات الضرورية لمواصلة مسيرة التسوية، وان المطلوب من العرب ان يعطوا اشارات مماثلة.

من هنا، فان احد اوجه السياسة الاسرائيلية الجديدة، وضع العرب تحت دائرة الضغط والابتزاز، ودفعهم الى تقديم تنازلات تحت شعار المرونة، وعدم اضاعة الفرصة، وتشجيع الاعتدال الاسرائيلي.

ان منظمة التحرير الفلسطينية وهي تقوم بمراجعة المعطيات الجديدة تدرك اهمية التمسك بثوابتها الوطنية، وتدرك الاهمية القصوى لتقوية موقفها الوطني بالمزيد من الدعم للانتفاضة الوطنية الكبرى في الوطن المحتل.

ان نجاح حزب العمل ورحيل شامير لايعني ابدا التنازل عن اي هدف من اهداف شعبنا، ولا يعني تغيير مطالبنا وثوابتنا، فاهدافنا واضحة في اجبار الاحتلال على الجلاء، والحصول على الاستقلال الوطني، ووضع الحقوق الوطنية والمشروعة والثابتة موضع التطبيق، وعلى رأسها حق شعبنا في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية وعاصمتها القدس الشريف ■

حول التسوية.. والعراق

■ اذا كانت الاسئلة حول ما العمل، وضرورات الوصول لمواقف عربية متضامنة منطقية بعد زلزال حرب الخليج؟ فان تطورات الاوضاع دوليا واقليميا، والمتغيرات المتوقعة على اكثر من صعيد، والاستحقاقات التي تقترب من مواعيدها تتطلب واكثر من اي وقت مضى، من مجموع اطراف الوضع النظامي العربي، ان تتجاوز الاشكاليات الثنائية بين اطرافه، وان يلتقي ولو على الحدود الدنيا، لموقف موحد وغير متناقض حيال تلك الاستحقاقات المطروحة؟.. وعلى رأس هذه الاستحقاقات الدؤوبة المطلوبة للدور العربي الوصول الى (التسوية).

وخصوصا حيث ان الاتجاه الاساسي الدولي يقوم الان على اعادة هيكلة القوى الاساسية في منطقة الشرق الاوسط. واهمية اللقاءات العربية تدلل عليها المواقف التي اتخذها اجتماع الدول العربية المشاركة في عملية السلام في الاسبوع الماضي في دمشق، حيث حددت قرارات اللقاء اسسا هامة لعملية التسوية، والتي شهدت تغيرا شكليا بمجيء حكومة حزب العمل بقيادة اسحق رابين للحكم في الكيان الاسرائيلي.. حيث اكد الاجتماع على الاسس والعناصر التالية التي تستند اليها عملية السلام:-

اولا: - الالتزام بهدف السلام الشامل في المنطقة وتنفيذ قراري مجلس الامن ٢٤٢، ٣٣٨ بكامل عناصرهما على جميع الجبهات الفلسطينية والسورية والاردنية وعلى أساس مبدأ عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة وانسحاب "اسرائيل" من جميع الاراضي اللبنانية المحتلة والتنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن ٤٢٥ دون قيد او شرط.

ثانيا: - احترام ضمان حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني، وتأكيده على الربط بين المرحلة الانتقالية والنهائية في المسار الفلسطيني، بما يضمن تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ بالنسبة للاراضي الفلسطينية المحتلة والسعي لازالة العقبات التي تعطل استكمال التمثيل الفلسطيني ليشمل سكان القدس والشتات ومشاركة منظمة التحرير الفلسطينية بشكل رسمي في عملية السلام.

ثالثا: - عدم شرعية وبطلان جميع اشكال الاقتسام الاسرائيلي لاي جزء من الاراضي العربية المحتلة للضفة الغربية بما في ذلك القدس وقطاع غزة والجولان، ورفض محاولات اضفاء الشرعية على اي نوع من المستوطنات باية ذريعة كانت باعتبارها تشكل انتهاكا صارخا لاتفاقية جنيف الرابعة ولقرارات مجلس الامن ومبادىء القانون الدولي.

رابعا: - شمولية الحل على جميع الجبهات وفي جميع المسارات وفقا لما نصت عليه مبادرة السلام وتعهد به راعيا المؤتمر ورفض اي محاولة للتجزئة والاستفراد.

خامسا: وضع حد لممارسات "اسرائيل" القمعية في الاراضي العربية المحتلة ولاعتداءاتها المتكررة على الاراضي والقرى اللبنانية والتي تشكل خرقا وانتهاكا خطيرين لميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي والانساني وخاصة اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ التي اقر مجلس الامن انطباقها على جميع الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة.

سادسا: حق جميع الاطراف المتساوي والمتبادل في الامن وعدم جواز تحقيق امن طرف على حساب اي من الاطراف الاخرى او بما يمس سيادتها او وحدة اراضيها.

سابعا: - اهمية متابعة راعيي المؤتمر لعملية السلام بنشاط وفعالية اكثر ومساعدة الاطراف على تخطي العقبات والعراقيل لضمان نجاح عملية السلام.

ويؤكد الوزراء اهمية مشاركة الامم المتحدة الكاملة في عملية السلام باعتبارها المنظمة المعبرة عن الشرعية الدولية والتي تشكل قراراتها ذات الصلة اساس عملية السلام، كما يؤكدون اهمية المشاركة الفاعلة للمجموعة الاوروبية. كما يطلبون اثباتا من الحكومة الاسرائيلية الجديدة للبعد عن سياسة المماطلة والتعقيد على ان يظهر ذلك في الجولة السادسة للمفاوضات. ورأى المشاركون ان الصورة السابقة، والتي تعطي عملية السلام بعدها الموضوعي والصحيح، من خلال تذكير الاطراف الاخرى بما عليهم ان يجسدوه للوصول الى النتيجة السليمة والمطلوبة من وراء عملية السلام، علما بأن الطرف العربي قدم كل ما يمكنه ان يسهل عملية السلام، والتزم بكل بنود واشتراطات قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨، وقبل ايضا بمبادرة بوش واوراق بيكر التوضيحية التي استبقت عقد جلسة مدريد الاولى، ولعل اهمية نتائج لقاء دمشق تبدو، من خلال ما قاله رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق اسحق شامير، الذي اوضح انه كان يريد لعملية التفاوض ان تستمر لمدة عشر سنين، ومن جانب اخر فان نتائج لقاء دمشق لوزراء الخارجية، قد وضع السكة باتجاه صحيح عندما طالب راعيي المؤتمر باخذ ولعب دورهما كاملا للوصول الى النتيجة المتوخاة بالانسحاب من كامل الاراضي العربية المحتلة.

ولعل الدفع الحقيقي واعطاء نتائج دمشق ابعادا واقعية اكبر، يتمثل بضرورة عقد قمة عربية حتى ولو على مستوى رؤساء الدول للاطراف التي شاركت في لقاء دمشق.. فمن الضروري ان يكون لمثل هكذا لقاء آثاره العملية على اعطاء عملية التسوية بعدا جديدا، يضمن لها ان تحقق افضل النتائج او تقلل حجم الخسائر الى حد بعيد.

العراق مرة اخرى

طوال الفترة التي اعقبت انتهاء معارك حرب الخليج، مارس العراق التزاما مستمرا بتطبيق القرارات الدولية التي طبقت عليه، على الرغم مما كان فيها من تعسف والمس من السيادة الوطنية، والمفارقة ان تطبيق العراق لتلك القرارات لم يشفع له، اجراءات مماثلة للتخفيف من قيود الحظر المفروض على الشعب العراقي، لا من حيث المواد الغذائية او المواد الطبية والصحية الاخرى، والتي ادت بشهادات المراقبين المحايدين الى وفاة عشرات الألوف من الاطفال والشيوخ العراقيين، ولم يقتصر التطبيق العراقي على الالتزام بالجوانب السياسية فقط بل لقد قدم كثيرا من اسلحته وترساناته لعيون رجال التفتيش الدولي والتي قامت بتدمير الكثير من تلك الصناعات البلاستيكية وغير البلاستيكية. اذن ورغم كل شيء فقد كان هناك التزام عراقي بالفعل بتدمير ما لديه وما هو مطلوب للتدمير، ولكن هل عمل مجلس الامن على التطبيق الاخر لقراراته، او التخفيف من قيوده المفروضة على العراق ولو بنفس النسبة التي التزم بها العراق؟ ان هذا السؤال (المعضلة) يجد نفسه مطروحا كخلفية لا بد منها لقراءة صحيحة لما يجري الان من تصعيد بين العراق من جانب وبين الولايات المتحدة من جانب اخر، اضافة الى ان العراق، لم يضايق لجان التفتيش الدولية عبثا، انما لاكتشافه ان رجال البعثات الدولية هم بالاصل تابعون لوكالة الاستخبارات الامريكية، وان كانوا يرتدون القبعات الزرقاء، ومن هنا يقدم العراق حلا منطقيا في هذا المجال بدعوته للتفتيش في مقر وزارة الزراعة، انما من رجال من دول العالم الثالث او الدول غير المنحازة، وان كانوا تابعين لوكالة الطاقة الدولية او الهيئات الاخرى المكلفة بالتفتيش، بمعنى ان العراق، يضع ومنذ البداية، الازمة القائمة في اطار واضح، هو شكه بالاشخاص التابعين لوكالة المخابرات الامريكية، ولم يوجه رفضه الى جوهر عملية التفتيش.

وجاء قرار مجلس الامن بالقبول بالموقف العراقي باستبدال اعضاء هيئة التفتيش، بآخرين من دول لم تكن على علاقة بحرب الخليج (عاصفة الصحراء) كشيء او قرار هام في هذه اللحظة التاريخية، التي تشهد مزيدا من المراجعات الواقعية لمفاهيم طرحت ابان حرب الخليج مثل مفهوم القوة الدولية الوحيدة او النظام الدولي الجديد، فالقرار او اعادة تشكيل بعثة التفتيش والنجاح العراقي المحدود في هذه المسالة، لا بد ان يقرأ من قبل الكل وخصوصا تلك القوى المتضررة من النظام الدولي الجديد للوصول الى مقدار اعلى من العدالة او عدم الظلم الشديد.

وما جرى ايضا، يطرح عددا من الافكار الاخرى والتي لا تمس فقط ما هو مطلوب من النظام العراقي الذي يحاول ان يجتهد وهو في ظل حصار غير مبرر وغير مشروع، وانما يعني مجموع قوى الامة العربية سواء كانت نظاما ام قوى، ومن هذه الافكار ضرورة الارتقاء الى مستوى المطالبة بان تدعو لان يقوم مجلس الامن بانزال عدد من العقوبات المفروضة على الشعب العراقي بالمقدار نفسه الذي طبق فيه العراق قرارات مجلس الامن، والاعلان الصريح بان الامة او قواها الحية تحمل المجلس مسؤولية ما يعانيه الشعب العراقي من امراض وموت كنتائج للحصار غير المشروع على الاقل في جوانبه الانسانية والحياتية. هذا بالاضافة الى المطالبة المشروعة ايضا ومن مجلس الامن، بضرورة ان يقوم بتطبيق ما اتخذه ضد العراق بما يتعلق بتدمير اسلحته النووية

والبلاستيكية والكيماوية، على القوى الاخرى في المنطقة وخصوصا لدى دولة الكيان الصهيوني، وخصوصا ان قيام الكيان الصهيوني بذلك، سيؤكد مدى جديته بما يتعلق بعملية السلام ومقدار سعيه والسعي الامريكي للوصول الى نتيجة عادلة في الحل، وهو ما يجعل من وجود هذه الاسلحة بدون ضرورة مادية. وبدون ذلك يظل معيار الازدواجية قائما وبكل ما يولده في النفوس من عدم رضى ومحاولات تحايل على ما يقر.. والفكرة الاخرى ذات الاثر حتى على تلك البلدان التي صمتت او ايدت، ما تم في المنطقة الكردية العراقية من تجاوز حتى لافكار وتطبيقات الحكم الذاتي للاكراد، الى ما هو اقرب الى دولة كردية في الشمال، انما سيصيب هذه البلدان مستقبلا عند اي خلاف لها مع القوى الخارجية، وخصوصا ان القوى المحلية التي تستقوي الان بالخارج لتجاوز ما هو حقها الى التعدي على حقوق الغير، انما يولد في اعماق الامة او المنطقة المحددة بذورا لاشكاليات مستقبلية ربما تطيح حتى بتلك الحقوق الاولية والمنطقية لهذه القوى..

واهمية هذه المسألة، تنبع من ادراك حالة الضعف الشديد التي تمر بها المنطقة العربية، والتي ستفجر في داخلها كثيرا من تلك الانماط والقضايا، لكي تحافظ على المنطقة ضعيفة ومتصارعة، في المرحلة التي تسعى فيها قوى الخارج الى اعادة هيكلة القوى في منطقة الشرق الاوسط على قواعد جديدة، غير تلك التي حكمت وقائع المنطقة في ظل الحرب الباردة.. فالولايات المتحدة تسعى الى منطقة شرق اوسطية تستند الى ثلاثة قوى اساسية، (الكيان الاسرائيلي) و(تركيا) و(ايران). وضمن شبكة العلاقات و(الاختلافات) و(التعارضات) بين هذه القواعد الثلاث تتم الصياغة المطلوبة لبقاء السيطرة الغربية على سوق المنطقة عموما ونفطها بشكل خاص الى اطول فترة ممكنة.

ان هذه المعطيات تكاد تشمل كل الابعاد المنظورة وغير المنظورة وكذلك التفسير لما قامت به الولايات المتحدة في الفترة الماضية سواء من خلال عاصفة الصحراء التي رمت الى تحقيق وانجاز مسألتين (الاولى) ضرب القوة العسكرية العراقية بواقعها الذي كان لحظة قيام الحرب، او بما كانت تمثله من اخطار محتملة على الاهداف البعيدة للاستراتيجية الامريكية في المنطقة (الاستراتيجية الاركان الثلاثة). والوصول الى السيطرة المباشرة على النفط وربط دوله بمعاهدات حماية ثنائية بين اقطار الخليج العربي. وهو ما يفسر اطلاق رصاصات الرحمة المتعمدة على رأس اعلان دمشق. و(الثانية) وهي الوصول بالمنطقة العربية الى انهاء الصراع العربي الصهيوني على ضوء معطيات ميزان القوى الذي قام اثر حرب عاصفة الصحراء، وذلك للحاجة الى تلك التسوية كارضية او مدخل لا بد منه للوصول الى الهدف الاستراتيجي الابعد في هيكلة المنطقة بشكل جديد يتوائم ومعطيات النظام الدولي الجديد بالمفهوم الامريكي الواسع.

والسؤال الهام الى اين تسير الامة؟ بل الى اين يسير النظام العربي الراهن؟ بل الى اين يسير كل نظام على حدة؟ وكل واحد لديه مشاكله وقضاياه وصراعاته، وكل يحاول ان ينجوا فيجد نفسه يدخل في حقل من الرمال دون قرار؟ والمشكلة الكبرى ان النظام العربي، على رغم ما يكتبه المثقفون العرب، وما تنادى به الجماهير في كل قطر في حاجة الى مراجعة للواقع الحالي، ومحاولة علاجه.

ان المصالحات التاريخية على ما تطلبه يبدو مدخلا لابد منه، لكي تحاول الامة ان تبدأ من جديد بنظرة اخرى الى الذات و الدور، تعاد فيه النظرة الى مفاهيم اخرى (للعلاقة مع الخارج) ومفاهيم جديدة (للديمقراطية) ومفاهيم للتنمية وانجاز الاستقلال الوطني.

ان بقاء الراهن عل صورته سيقدم على مذبح النظام الدولي الجديد كل يوم قربانا من هذا النظام العربي، فاذا كان بالامس العراق، واليوم ليبيا، فانه كان بالامس واليوم، النفط العربي والتنمية العربية والديمقراطية العربية، التقدمات المستمرة لابقاء على حالة التخلف، والتبعية بمعناها الشامل، وما يترتب عليها من آثار المديونية للخارج، بفوائدها، والانضباط لقرارات صندوق النقد الدولي، وما ادته قراراته في هذا الجزء او ذاك من المنطقة من تعميق للتشوهات البنوية في تركيبة تلك المجتمعات. لذلك تبدو الحاجة ملحة واكثر من كل الاعوام السابقة، الى التسريع باعادة مؤسسات العمل العمل المشترك، واغلاق ملف التقاتل العربي، واستبداله ولو بخط المصلحة الاقتصادية والسياسية المشتركة، تلك المصلحة التي تبدأ من تطبيقات صحيحة لرؤية ما هو مشترك في الحياة العربية العامة ■

كتاب

قراءة متمعنة في كتاب حرب الخليج: أوهام القوة والنصر (٥)

■ في العدد الماضي وصلنا الى ان الأمين العام للأمم المتحدة السيد دي كويلار قال، اثناء وجوده في بغداد يوم ١٢ كانون الثاني/ يناير ١٩٩١، انني اشعر ان السيف خرج من غمده، والسيف مشهر على رأس العالم، وليس على رأسي فقط!.

وفي الفصل الحادي عشر: عاصفة الصحراء!، يقول الاستاذ هيكل: (لقد كانت الحرب خيارا مطروحا طول الوقت كملجأ لحماية الكنز الأسطوري الذي يمثله البترول العربي، وحين بدأت العمليات الحربية يوم ١٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٩١، كانت القائمة الأولية للأهداف التي يتحتم ضربها تحتوي على ٤٠٠ هدف، ومع استمرار القتال ارتفع عدد الأهداف الى ٧٠٠ هدف. اذ كان الجنرال شوارتزكوف يعرف أن تفوقه الكاسح في قوة النيران قد عزز امكانيته للقيام بعمليات اضافية تسعى الى شل القوة العراقية قبل البدء في ضربها:

- كانت هناك مؤثرات نفسية هدفها تشتيت تركيز القوة العراقية بحيث لا تعرف من أين تنقض عليها الضربة الاولى غير المفاجئة.

- وقد كان في خطة (عاصفة الصحراء) جزء يستهدف ابقاء العراق في حالة (عمى مخابرات تكتيكي) كامل، بحيث يبقى في حالة اظلام كثيف من ناحية المعلومات عما يجري في مسرح العمليات.

- ان مسرح العمليات في العراق كان مكشوفا تماما، والى درجة العري، أمام قوات (عاصفة الصحراء). فهذه القوات كانت لديها من وسائل الاستطلاع المختلفة، ومصادر المعلومات الوفيرة ما سمح لها بأن ترى وتقدر كل حركة وكل موقع، وكانت تقارير طائرات (الأواكس) تتابع دقيقة بدقيقة كل همسة وكل خلجة تجري في أي بقعة من العراق.

- وأكثر من ذلك فان قيادة القوات المتحالفة كانت قد استطاعت أن تدفع الى داخل الكويت بأعداد كبيرة من (عناصرها العربية) لأغراض المخابرات المباشرة على الطبيعة، وكان العراق يفتح ابواب الكويت لأي قادم عربي بأمل اظهار ان الوضع هناك طبيعي. وتقدر بعض التقارير الأمريكية أنه عندما اقترب وقت العمليات العسكرية كانت داخل الكويت ١٧٠ عينا لجمع المعلومات يقوم بتوجيهها وتحريكها ضابط عربي له خبرة سابقة في معارك افغانستان.

- وأكثر من ذلك فقد كانت القيادة الأمريكية قد تحوطت بدرس فيتنام، فلم تسمح للصحفيين من أي جنسية أن يتواجدوا في مواقعها أو يتابعوا تحركاتها، فعلى كل وسائل الاعلام أن تأخذ أخبارها من المؤتمرات الصحفية الرسمية المتكررة كل ساعة في مركز القيادة في الظهران.

ولم يكن العراق مستعدا لهذا كله، وفوق ذلك فقد وقع في خطأ الحسابات في أكثر من عنصر من عناصر ما كان ينتظره من (عاصفة الصحراء).

- فالعراق لم يتصور أن هدف الحرب كان تدمير العراق، ولم يعد تحرير الكويت. ومع أن هاجس تدمير العراق خطر على فكر عدد من المسؤولين فيه، فقد كان الظن أن التدمير سوف يكون محدودا بما هو لازم لاخراجه من الكويت ولضرب قدرته العسكرية.

- وكان الخطأ الثاني في الحسابات أن العراق قاس الضربة الجوية الأولى بمعيار ما عرفه العرب من الضربة الجوية الأولى سنة ١٩٦٧. ولعله تصورها يوما واحدا يركز أساسا على طائراته فاذا نجت الطائرات من هذه الضربة الأولى - اذن فان هذه الضربة لم تحقق أهدافها. لكن الكارثة كانت أنه باختفاء هذه الطائرات داخل

مكامنها الحصينة، فان طيران الجنرال شوارتزكوف أصبحت له سيطرة كاملة على أجواء العراق، وتحولت السيطرة الى سيادة مطلقة على هذه الأجواء بعد أيام قليلة.

- وكان الخطأ الثالث في الحسابات، وهو من مواريث معارك سابقة، يتلخص في الاعتقاد بأنه فور أن تتم الضربة الجوية الأولى، فان الحرب البرية سوف تبدأ، وعندئذ تلتحم القوات بالقوات وتتقاطع الخنادق مع الخنادق، ويصبح عمل القوات الجوية صعبا. وبمعنى آخر فان العراق كان متأثرا أكثر مما يجب بتجربته في حرب السنوات الثماني مع ايران، ولم تكن هذه التجربة ذات نفع في حرب من نوع جديد.

- وكان الخطأ الرابع في الحسابات أن العراق لم يتصور فعلا مدى التطور التكنولوجي الذي حدث على الأسلحة التقليدية.

- وكان الخطأ الخامس في الحسابات أن العراق ركز كثيرا على قوته الصاروخية والكيماوية. وحين تلقى في خطاب بوش الى صدام حسين يوم ٩ يناير/ كانون الثاني، وفي حديث بيكر الى طارق عزيز نفس اليوم في جنيف - تحذيرات قاطعة بعدم استعمال أسلحة كيماوية، والا كان الرد نوويا. فانه غير رأيه في استعمال أسلحته الكيماوية، وحسنا فعل، ولكن ذلك كان معناه ان نصف قوته غير التقليدية خرجت من المعركة قبل أن تبدأ.

يضاف الى ذلك أن صواريخ (سكود) التي بذل العراق جهدا كبيرا في تطويرها كانت مازالت تعاني من مشاكل دقة التوجيه وبطء السرعة.

كان الجيش العراقي بالفعل جيشا قويا، وقد وضع في الميدان أكثر من خمسين فرقة مدرعة وميكانيكية للمشاة. كما كانت لديه قوة جوية ضخمة تتكون من قرابة سبعمائة طائرة. وكان يملك الى جانب ذلك سلاح صواريخ يرتكز على قرابة أربعمائة منصة للاطلاق. وقد اقام أمام قواته حواجز وموانع ملأ بعضها بالبترول بحيث يمكن تحويلها الى خطوط نار عند اللحظة المناسبة ليكون منها خط دفاع أول. وقد أنشأ حول مواقعه وأهدافه الحيوية شبكة من الدفاعات استعمل فيها قرابة عشرة آلاف مدفع مضاد للطائرات. وكانت من ذلك كله قوة ضخمة. وانما بمقاييس العالم الثالث.

وانتهى اليوم الأول من الضربة الجوية، واذا يوم آخر يليه، ويستمر الضرب الجوي ثلاثة وأربعين يوما سقط فيها على العراق ما بين ١٢٠ و ١٣٠ ألف طن من المتفجرات. وكانت لهذه العاصفة من النيران أهداف تتعدد مستوياتها: فقد كان أولها، هو الجيش العراقي، اذ قال كولين باول: (سوف نمزقه اربا اربا، وبعدها سوف نقتله). وثانيها، ضرب الرئيس صدام حسين وقتله. وثالثها، اثارة أعصاب ومشاعر الشعب العراقي مما يؤدي الى مواجهات عنيفة بين الجيش والشعب من ناحية، وبين القيادة السياسية للنظام من ناحية أخرى. ورابعها، الحاق كارثة أوسع وأقوى بالعراق كله، تهدف الى تمزيق المجتمع بأسره وليس مجرد قواته المسلحة. وقد تحدث الجنرال شوارتزكوف، بكل صفاقة، في يوم ١٣ آذار/مارس ١٩٩١ (ان اهداف الضرب الجوي للعراق جرى توسيعها، لكن التدمير لم يلحق بأبرياء، فالشعب العراقي كله ليس بريئا لسببين: أولهما، ان كثيرين من أفراده تحمسوا لغزو الكويت. وثانيهما، ان الشعب العراقي قابل بحكم صدام حسين)!.

وفي منتصف شباط/فبراير أحس غورباتشوف بوجود ضغوط شديدة عليه تدعوه الى القيام بمبادرة تنقذ ما يمكن انقاذه من الموقف، وهكذا جاء بريماكوف الى بغداد وذهب طارق عزيز الى موسكو، ولكن النتيجة كانت اصرار الرئيس الامريكي على أن العراق لم يلتزم بما أعلنه يوم ٢١ شباط/ فبراير، باعطاء العراق مهلة ٤٨ ساعة ليبدأ بالانسحاب من الكويت دون شروط!. وفي ذلك الوقت كانت حركة الالتفاف حول الجبهة العراقية قد أكملت مهمتها، فوصلت قوات فرنسية وأمريكية وبريطانية الى منطقة الناصرية.

وكان الرأي العام العربي قد بدأ يفيق لهول الكارثة، خصوصا بعد أن صدمته صور حية خرجت أخيرا من العراق عن اصابة مباشرة دمرت مخبأ من الغارات الجوية احتمى فيه مئات من المدنيين. وبدأت حركة فوران شعبي في العالم العربي لاقت أصداء مماثلة في نواح كثيرة من عالم أفاق بسرعة على حقائق أخفتها عنه الصور، ثم كشفتها له صور أخرى. وراحت واشنطن تتحسب. فاتصل بوش بشوارزكوف يسأله سؤالا محددا: (هل يعتبر ان الهدف الاستراتيجي من الحرب، وهو ابادة الجيش العراقي وتدمير الامكانية العراقية قد تحقق؟). وكان رد شوارتزكوف هو قوله: (انه يعتبر ان الهدف تحقق بالكامل). وعقد الرئيس بوش اجتماعا سريعا مع وزير الدفاع ومع الجنرال كولين باول، ومع

الجنرال برنت سكوكروفت مستشاره للأمن القومي - ثم خرج الى مؤتمر صحفي دعا اليه على عجل ليقول: (انه أصدر الى الجنرال شوارتزكوف أمرا بوقف اطلاق النار).

وفي الفصل الأخير من الجزء الثاني: ما بعد العاصفة!، يقول هيكل: (عندما أصدر بوش قراره بوقف العمليات يوم ٢٨ شباط/ فبراير، كان قراره يرتكز على عدة عوامل منها:

١- تقييم شوارتزكوف بأن الهدف الاستراتيجي من الحرب تحقق.

٢- تقديرات مؤداها ان الجيش العراقي الممزق سوف تعود بقاياه الى بغداد وتقوم بانقلاب على السلطة.

٣- معلومات من سورية بأن قيادات كثيرة في حزب البعث العراقي وصل ضيقها مداه.

٤- تأكيدات من السعودية بأن جهودها أسفرت عن توحيد فصائل المعارضة العراقية.)

وحسب هيكل فان الاستراتيجية الأمريكية تجاه العراق بعد الحرب لم تكن تتصور أو تريد تقسيم العراق، فهي أول من يدرك أن التركيبة الانسانية للعراق تركيبة خطرة. وجاءت نتيجة الحرب، خاصة الضغوط السياسية والاقتصادية والنفسية، لتشير الى أن انفكاك تركيبة العراق بدا احتمالا قائما لعدة أسابيع بعد الحرب.

ومن الانصاف أن يقال أن الشيعة في العراق تمسكوا طويلا بهويتهم القومية، وكان امتحانهم الأكبر هو الحرب العراقية - الايرانية. وفي الوقت الذي حاول فيه بعض سكان الجنوب، في الظروف الصعبة التالية للحرب، أن يحموا أنفسهم باظهار هويتهم الشيعية، فان بعض العناصر في ايران لم تلبث ان تقدمت للساحة، فاذا ألوف من حراس الثورة الايرانيين يدخلون بسلاحهم الى مناطق جنوب العراق، وفي ظروف أيام كانت نيران الفتنة على أشدها.

وكانت مناطق الأكراد في الشمال قصة أخرى أكثر تعقيدا، اذ تكشفت حقائق يصعب تجاهلها عندما نشر دافيد كيمحي مذكراته من سنة ١٩٩١، حيث قال: (لقد قررنا أن نعطي للأكراد كل المساعدات التي يحتاجونها، وكنا ننسق في ذلك مع شاه ايران الذي تعاونا معه أيضا في الجنوب لأنه كان يخاف على مقاطعة خوزستان العربية في جنوب ايران من الدعوة العراقية الى عروبتها. فقد كانت سياستنا هي التعاون مع القوميات غير العربية في الشرق الأوسط، وبالتحديد مع تركيا، وايران، وأثيوبيا. كما كانت سياستنا أن نتعاون مع السنة من غير العرب، ومع الأقليات الشيعية في المنطقة. وقد قدمنا الى أكراد العراق أسلحة وذخائر، ومدربين ووسائل اتصالات، ومعدات طبية).

وكانت أولى النتائج التي برزت بعد العصيان، الذي اتخذ لنفسه وجها شيعيا في جنوب العراق، هي ظهور حكومة مؤقتة شيعية الهوية مقرها في طهران. وفي الشمال جرى مع الأكراد شيء مشابه، اذ اعتبرت تركيا نفسها مسؤولة في الشمال، فما كادت أصوات المدافع تسكت حتى كان الرئيس التركي يستقبل قادة الحركة الكردية. وكان حديثه معهم غريبا، اذ قال: (ان في عروقه دماء كردية، فجدته سيدة كردية، وعلى حجرها تربى... وعلى مائدتها عرف أطباق المطبخ الكردي وأغرم بها).

وهكذا، فان شمال العراق كله كان خاليا من أية قوات عسكرية عراقية، وسادت حالة من العصيان شبيهة بما حدث في الجنوب.

ومن وسط الدخان الكثيف للمعارك برزت مفاجأة لم تكن متوقعة، فقد ظهر أن شوارزكوف أخطأ في حسابات الدمار، اذ أن الجيش العراقي تمكن من الحفاظ على ٢٠-٢٥ فرقة من أصل ٥٥ فرقة، ثم تبين أن عددا من هذه الفرق، وبينها ست فرق من الحرس الجمهوري، كانت بعيدة عن ميدان القتال، ولا تزال محتفظة بقدراتها القتالية والمعنوية.

ولقد راجت بعد ذلك تكهنات تقول أن الأمريكيين تركوا عن قصد للعراق قوة عسكرية يستطيع أن يحافظ بها على تماسكه. ولكن الوقائع والوثائق تشير الى أن بقاء هذا الحجم من القوة حدث بالرغم من السياسة الامريكية وليس نتيجة لها. وكان أحد أفراد الأسرة الحاكمة في الكويت قاسيا مع وزير الدفاع الأمريكي، حين قال: (انكم قطعتم ذيل الأفعى، ولكن الأفعى لا تموت بقطع ذيلها وانما بقطع رأسها).

ومن الأدلة القاطعة على أن الفواصل كانت قد تلاشت بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية أن الأمريكي دافيد كاي، الذي كان يرأس بعثة الأمم المتحدة في العراق والذي مسك مجموعة من ملفات العاملين في مؤسسة الطاقة النووية العراقية، فتح جهاز اتصال بالأقمار الصناعية مع واشنطن، وليس مع نيويورك حيث مقر الأمم المتحدة، ثم راح يملي البيانات التي تحتويها الملفات!.

لقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية، بعد تدمير العراق، الفرصة مواتية لها لتعيد ترتيب المنطقة على هوى مصالحها، وطبقا للخطين التاليين:

١ـ الفصل بين شواطىء الخليج، حيث يوجد البترول، وبين العمق العربي،أي ابعاد الكنز عن مواقع الكثافة السكانية العربية.

٢ـ صرف الانظار عن خصوصية القومية العربية عبر ادخال "اسرائيل" وسط المحيط الذي تعيش فيه. وهنا يمكن فهم مغزى فرحة وزير الخارجية الأمريكي بعدما استطاع أن يجمع العرب و"الاسرائيليين" حول طاولة المفاوضات... الخ. والغريب أن "اسرائيل" كانت هي التي تتمنع وتظهر العناد، رغم أن بيكر رتب كل شيء حسب ما طلبته وزيادة.

ولأن المستقبل أولى بالاهتمام،فقد ختم الاستاذ محمد حسنين هيكل كتابه بخاتمة عنوانها (البحث عن مستقبل)، ذكر فيها أن العالم في المستقبل القريب سوف يكون بالغ الخشونة، ذلك أن الولايات المتحدة قد أصبحت منفردة على قمته الى حين لأسباب كثيرة:

١ـ أنها استنزفت نفسها بسباق السلاح.

٢ـ أن المجتمع الأمريكي صرف أكثر مما انتج، أي أنه استدان ليستهلك.

٣ـ أن الشعب الأمريكي يواجه أزمات اجتماعية وفكرية شديدة، بينها ازمة القيم، وضمنها قيمة المنفعة وقيم الاستهلاك.

٤ـ أن الولايات المتحدة يعتريها غرور القوة، خصوصا في مظهرها العسكري، بينما التحديات الكبرى في العصر لا تحلها القوة العسكرية.

ومن الملفت للنظر أن الرئيس بوش كلما واجهته التحديات الحقيقية راح يهرب منها بمطاردة العراق، سواء تحت دعوى مساعدة الاكراد فيه، أو تحت دعوى اتمام تجريده من السلاح النووي... الخ. وبدلا من قبول أمريكا بالتحديات على ارضها وفي ميادينها، فانها اندفعت الى أسلوب خشن في محاولة لتأكيد نظامها العالمي الجديد:

١ـ تصورت أن في امكانها الهاء أوروبا الغربية بما يجري في أوروبا الشرقية، كما تصورت أن التناقض الالماني ـ الفرنسي يمكن أن يبعث حيا، وأيضا تصورت أن بريطانيا يمكن أن تكون طابورها الخامس داخل أوروبا الغربية.

٢ـ حاولت أن تمنع أي لقاء بين اليابان والصين، ولكن البلدين يدركان أهمية اللقاء بينهما، وان كانا محكومين بمواريث تاريخية وبطموحات وطنية قد تبدو متعارضة.

٣ـ لجأت الى تخويف أوروبا من القوة النووية فيما كان الاتحاد السوفياتي، كي تقبل باستمرار الحلف الأطلسي كمنظمة عسكرية تحمي أوروبا الغربية برادع نووي أمريكي.

٤ـ أعطت نفسها حقوقا بينها: حق أخلاقي على البشرية كلها يعتبر نفسه حكما ومرجعا في قضية حقوق الانسان، وحق الاشراف على الاداء الاقتصادي العالمي وفقا لقواعد السوق الحرة، وحق تطبيق الشرعية الدولية من منظور أمريكي.

لكن تلك كلها ألعاب متشابكة متضاربة لا تنشىء نظاما عالميا جديدا، ولعلها أقرب الى أن تنشىء حالة من الفوضى العالمية لا يستطيع أحد تقدير نتائجها أو حساب تفاعلاتها. والحاصل أنه ليست هناك حالة أخطر من محاولة طرف أن يتمسك باحتكار القوة مع تناقص أسبابها الحقيقية في يده. والأقرب الى طبائع السلوك الانساني أن هذا الحال يدفع بأصحابه الى ممارسة العنف للتغطية على الاحساس بالضعف. ثم ان الشكوك تساوره، شأن أي كائن حي بلغ ذروة الجبل في حياته، ولم يعد أمامه غير النزول. وصحيح أنه مازال الأقوى سلاحا واقتصادا ونفوذا، لكنه بالنسبة للآخرين، يفقد، وهم يضيفون، وهو يقل وهم يزيدون، وهو يصغر وهم يكبرون.

وهكذا، يصل هيكل الى السؤال الجوهري التالي: أين الأمة العربية في ذلك كله؟ فقد أصيبت الأمة بحالة من العري الكامل حولتها الى أشلاء متناثرة، فالمدن العربية لم تعد كما كانت مصادر اشعاع ونور، والقبائل لم تعد مستودع العصبية. فقد كان شيوخ القبائل، في مرحلة من المراحل، يدركون حقيقة أن هناك نوعا من العقد السياسي والاجتماعي يربط المشيخات بالمدن في اطار الأمة الواحدة. وهذا الوضع يكسر قواعد وعقودا تقليدية مهمة، كما أنه يصوغ أنواعا مستجدة من العلاقات والتحالفات حرجة وخطيرة. فالمدن والقبائل كلتيهما وصلت الى نوع من الاستسلام للظروف، فالأولى وصلت، من باب الفقر، الى الصلح مع "اسرائيل" دون حل مقبول للصراع العربي ـ الاسرائيلي، آملة أن تجد في المساعدات الاقتصادية الأمريكية حلا لمشاكل حياتها!. والقبائل، من

باب الغنى، وصلت الى ماهو أكثر من الصلح مع "اسرائيل"، آملة أن تجد في المساعدات العسكرية الأمريكية حلا لمشاكل أمنها!.

وقد تم ذلك كله في مناخ عربي عام ساده خلط شديد حول مفاهيم وقضايا أساسية وحيوية مثل: النظام العالمي الجديد والأمن القومي، والديمقراطية السياسية والتنمية الاقتصادية، بل والاسلام نفسه.

وعاش العالم العربي، ومازال يعيش هذا الخلط، وتتباعد يوما بعد يوم مسافة الاختلاف بين ما تجري به الألسنة، وما تجري عليه التصرفات، وبين ما يفهمه ويمارسه العالم من مدلولات المعاني حين تتحول الى سياسات، وبين فهم العالم العربي لهذه المعاني وممارساته السياسية لمدلولاتها.

وفوق هذا تستمر ازاء العالم العربي خطوط سياسات ثابتة تستهدف عدة مطالب:

- حصره في تناقضاته الداخلية، بل والعمل على زيادة حدتها..

- استنزاف موارده، طبيعية أو مالية او انسانية.

- عزله عن عصر التكنولوجيا، وبالضرب المباشر اذا دعا الأمر.

- تعويق تنميته الحقيقية اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

- وأخيرا تذويب شخصيته وخصوصيته وتسييلها بحيث تصبح قابلة للتسرب الى مجار غريبة تستوعبها، وفي هذا كله تقوم "اسرائيل" بالدور الرئيسي مسنودة ومؤيدة بقوى هائلة تساعدها، كما تساعدها أيضا حالة اختراق خارجي كامل للعالم العربي لم يسبق لها مثيل في تاريخه كله.

ثم يتساءل: الى أين؟، ويأخذ على السيناريوهات المتفاوتة بين التشاؤم والتفاؤل، أن بعضها ينسى حقائق الجغرافيا والتاريخ، وبعضها ينسى حقائق السياسة العربية الراهنة. اذ أن سيناريوهات التشاؤم تنسى أن عزل الموارد العربية، بشكل دائم، عن الكثافة البشرية العربية صعب بسبب حجم وعمق الصلات بين العرب. كما تنسى أن محركات التطور تواصل دورانها.

أما سناريوهات التفاؤل فانها تنسى الحقائق السياسية الراهنة:

- طبيعة التحدي "الاسرائيلي" الذي لا يستطيع أن يقبل منطق التسوية، فهو عقيدة دينية لا تقبل حلا وسطا. ثم انه مشروع استيطاني، وأي مشروع استيطاني لا يملك الا انكار الآخر، والا فانه ينكر نفسه!. مع العلم أن "اسرائيل" ليست ـ في حد ذاتها ـ معجزة ذات خطر، اذ أنها غير قادرة على الحياة الا بكم من المساعدات يصل سنويا الى قرابة ٩ بلايين دولار، أي بمعدل أكثر من ألفي دولار لكل فرد.

- ان الأمة العربية لم تصل بعد الى صيغة للتعايش مع جوارها...

- ان هناك احتمالات نزاع جديد في المنطقة على موارد المياه...

- ان حرب الخليج تركت آثارا على الواقع العربي، اذ أن القبائل العربية لا تزال تعتمد منطق الثأر (مسألة الحصار المفروض على العراق).

- ازدياد الاختراق الأجنبي لحياة الأمة، مما سيؤدي الى استباحة كاملة لمصائرها.

- ان العالم العربي فراغ من المؤسسات، بما هي حافظ وموجه للوعي العام والمسؤولية العامة.

- ان طبيعة السلطة في العالم العربي لم تعد فقط طبيعة فردية، وانما أصبحت شخصية كذلك.

على أن هناك حقيقة لا مفر من مواجهتها هي أن أزمة وحرب الخليج لم تكن حتمية أو ضرورية، ولم تكن مفيدة لا في بداياتها ولا في نهاياتها. فلقد كان استعمال القوة في احتلال الكويت وهما، كما أن الأيام قد تثبت أن النصر في الحرب ضد العراق كان وهما اعتمد على الاستهانة بالمستقبل واحتمالاته.

وهكذا، يمكن أن نقول، بكل موضوعية، أن الأستاذ محمد حسنين هيكل قدم أهم رواية عن العدوان الأمريكي على العراق من خلال اعادة ترتيبه وتحليله للوقائع، وقد قدم لنا قراءة موضوعية وعقلانية لحرب الخليج الثانية. وكان واضحا أنه لم يكن يريد أن يثير حساسية أحد، أو أن يدين هذا الطرف العربي أو ذاك بشكل مباشر، اذ اكتفى في كثير من الأحيان بابراز وجهتي النظر المتناقضتين، وترك للقارىء أن يكون رأيه بنفسه. ولكن القارىء المتمعن في تسلسل الأحداث يستطيع أن يعرف ـ تماما ـ أين يقف هيكل، وأي الأطراف هي الأصدق والأكثر منطقية. ويخطىء القارىء الذي يظن أن المؤلف كان محايدا في توضيح قناعاته وموقفه من العدوان الأمريكي على العراق ■

انتهت

ينطلق من رد الجميل من جهة، ومن جهة اخرى الى درجة التفاهم الذي يمكن ان يساهم في تكريس الدور الاستراتيجي للكيان الصهيوني في النظام العالمي الجديد، الذي لايمكن ان ينطلق ويتجذر في القرن القادم، الا اذا استمرت ادارة بوش والحزب الجمهوري في قيادة الولايات المتحدة. فعلى الرغم من ان رابين لاتقع عليه التزامات تجاه كلينتون، وانه سيكون في مأمن من الضغوط في حال نجاحه.. الا ان طبيعة رابين العسكري، والسياسي، والذي يدرك درجة الاعتماد على سياسة الهيمنة الامريكية، والتكامل معها، والتي يمثلها الحزب الجمهوري الحليف الاستراتيجي للكيان الصهيوني، تظل هي الخيار الافضل من سياسة الحزب الديمقراطي الذي ينظر الى الكيان الصهيوني كمركز اشعاع ديمقراطي وحضاري، تقع مهمة حمايته على امريكا نفسها. ويدرك رابين ايضا ان كل خطط السلام الامريكية التي يتبناها الحزب الجمهوري لم تصل الى نهايتها.. ابتداء من روجرز ومرورا بريغان وشولتز.. اما الحزب الديمقراطي فقد استطاع تحقيق اتفاقية كامب ديفيد، وفرض ما يسمى اختراقا حقيقيا في حالة الحرب السائدة في المنطقة.

من هذا الواقع الراهن جدا حتى نهاية شهر اكتوبر القادم. وهو ما يعني مرور عام كامل على بداية مايسميه بيكر مسيرة السلام. لابد لنا بل يجب علينا ان نقف لتقويم خطوات المسيرة، وما استطعنا درأه من اخطار، او ما حققناه من تقدم عبر العناد والاصرار الفلسطيني على تحدي الممر الاجباري والشروط المجحفة، والقدرة على الالتفاف على شروط الاجحاف، او فتح آفاق وخيارات وبدائل تؤدي الى توسيع الممر، ومزج الاجبار والاختيار فيه، كمعادلة توازن جدلي، تنطبق علينا كما تنطبق على العدو الصهيوني..

ان التزام رابين بتقديم المساعدة الواضحة لانجاح مسيرة التسوية، ولو اعلاميا خلال الاشهر الثلاثة القادمة، تتطلب منا ان ندرك اهميتها بحيث لايكون اعلام او اعلان رابين اقوى من الصوت الفلسطيني، الذي يجب ان يناضل وبكفاءة عالية وحدس صادق على مسارين متناغمين.

اولهما: مسار الانتفاضة وتصعيدها واعادة الزخم الجماهيري الذي تميزت به في مراحل ازدهارها. وذلك بالتركيز على البعد الجماهيري للانتفاضة. واشراك الفعاليات والقوى جميعها في اطار حملة شاملة، تنطلق على اساس وحدة وطنية شاملة. وتضع جانبا كل انواع الخلاف، وترى التناقض الرئيسي فيما يجسده الاحتلال الصهيوني والمستوطنون، حيث يحاول رابين ابقاءهم فوق الارض الفلسطينية تكريسا لسلطة الاحتلال، ولمنع قيام اية سلطة وطنية مستقلة.

ويندرج في هذا المسار العمل البطولي المسلح الذي يقوم به جيش الانتفاضة، جيش الشعب الذي يطارده الاحتلال، والذي يشكل القوة الرادعة المانعة من استفراد العدو الصهيوني بفرض سياسة الاذعان والابعاد القسري، الذي يشرع له البعض بتبريرات ليست موجودة في قاموس النضال. وهو الموقف الذي حصل في جامعة النجاح، ورفضته القيادة الفلسطينية واعتبرته سابقة مدانة لايجوز ان تتكرر.

ان مسار الانتفاضة والكفاح المسلح يظل محكوما بخططنا الاستراتيجية، ومنطلقا من قدرتنا الذاتية وارادتنا المتصاعدة بعيدا عن محاولات العدو الصهيوني، التي تحاول النيل من هذه الارادة. وان ما يجري على الارض المحتلة من مواجهات بطولية على مستوى الافراد والجماعات، واستخدام كل انواع اسلحة المواجهة، يدل بشكل حاسم على ان هذا المسار الجهادي الكفاحي، يشكل شاخصا وداعما للنضال الصلب الجسور، الذي يحتاجه المناضل في المسار الثاني، وهو مسار العمل السياسي، ومواجهة العدو على طاولة المفاوضات.

ان مسار العمل السياسي والتفاوضي. يظل محكوما بشكل او بآخر، وبدرجة او باخرى بالتوازنات الدولية والعربية، وبالقرارات الأممية والشرعية الدولية والعربية والفلسطينية. ولهذا فان مجال المناورة فيها يظل محصورا، ويعتمد اعتمادا اساسيا على القدرة الراسخة، وعلى التمسك بروح القرارات ومضمونها، بما يخدم مصلحة الشعب الفلسطيني، وحقوقه المشروعة.

ان ادارة الرئيس بوش التي تحتاج الى اظهار ان عجلة مسيرة التسوية تسير على مايرام كانجاز من انجازات الادارة الامريكية الساعية الى اعادة انتخاب رئيسها، تلقي علينا مهمة نضالية تنطلق من ان هذه العجلة يجب ان لا تسير باي شكل من الاشكال على حساب الحقوق الفلسطينية، وفوق حرمة الوعود التي سمعها الوفد الفلسطيني من الادارة الامريكية، والتي تضمنتها رسالة التطمينات، ونص خطاب الدعوة لمؤتمر مدريد. وفي مقدمة هذه القضايا يظل الاستيطان، الذي تعلن الادارة الامريكية يوميا انه عقبة في سبيل السلام. ولايجوز المرور بدون انتباه لتعبير الوزير بيكر حول المستوطنات في تصريحه، وهو في الكيان الصهيوني حيث اشار (بأن عملية الاستيطان لا تساعد على احلال السلام) ان التلاعب بالالفاظ واطلاق التصريحات التي ترضي السامعين ليست ذات جدوى في التطبيق العملي. ان علينا التمسك بكل الوعود والالتزامات التي اطلقتها الولايات المتحدة لتقود عملية السلام، ولتجمع الاطراف المتعارضة على طاولة المفاوضات. واذا كانت ادارة بوش قد التزمت بعدم دفع ضمانات القروض لحكومة شامير نظرا لعدم التزام شامير بالقرار الامريكي، وبالالتزام الامريكي للفلسطينين بان

المستوطنات تشكل عقبة في طريق السلام. فان بوش لايزال ملزما بتطبيق نفس الاجراء، الا اذا كان هنالك وقف حقيقي للمستوطنات، ودون تلاعب في التسميات.

كما ان الزام امريكا بالوفاء بوعدها بانجاز ما تضمنته رسالة التطمينات حول الفترة الانتقالية، وسلطة الحكم الذاتي الانتقالية، والانتخابات التي تتطلب اشرافا دوليا، وانسحابا للقوات الصهيونية، حتى يمارس الشعب الفلسطيني حقه الشرعي في اجراء انتخابات تشريعية، وهو ما يجب انجازه حسب الوعد الامريكي، في موعد اقصاه سنة واحدة منذ بداية اعمال مؤتمر مدريد، وهو ما يوافق نهاية اكتوبر القادم.

ان الاشهر الثلاث القادمة.. تشكل مرحلة حاسمة في نضالنا على المسارين الجهادي والكفاحي الانتفاضي والسياسي الدبلوماسي التفاوضي. وعلينا التمسك وبحزم بالقرارات التي حددها المجلسان الوطني والمركزي لتحقيق انجازات ملموسة على الارض، تساهم في توحيد وتصليب وحدتنا الوطنية، والتي هي ضرورة اساسية من ضرورات تحقيق الانجازات. وفي هذا الاطار علينا الاستمرار في دعم المركز التفاوضي بالعمل المسلح والانتفاضي.

اما في مجال الزام الولايات المتحدة والاستفادة من حاجة الادارة الامريكية الماسة لوجود اللاعب الفلسطيني في ساحة التفاوض، فعلينا التركيز على ما يلي:

١) المستوطنات:

التمسك بالموقف الامريكي الذي نص في رسالة التطمينات على ما يلي (الولايات المتحدة عارضت وتواصل معارضة النشاط الاستيطاني في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ والذي يبقى عقبة في طريق السلام) ان هذا لا يعني فقط وقف الاستيطان او تجميده فحسب، بل يعني ان كل المستوطنات الموجودة الان في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ هي مستوطنات تشكل عقبة في طريق السلام، ويجب الاقرار بضرورة تفكيكها وازالتها كما جرى للمستوطنات الصهيونية في سيناء. ولا يجوز الربط بين موضوع وقف الاستيطان الذي هو عملية غير شرعية وخرق للقانون الدولي، وبين عملية المقاطعة العربية التي هي حق من حقوق الدول التي تمارس سلطتها نتيجة للعدوان الصهيوني المستمر على المنطقة.

٢) اطار المفاوضات والشرعية الدولية:

التركيز على قرارات الشرعية الدولية التي تمت الدعوة على اساسها. وخاصة قراري مجلس الامن ٢٤٢، ٣٣٨ ومبدأ الارض مقابل السلام. والدفع باتجاه ان تلعب الامم المتحدة، ومجموعة الدول الاوروبية دورا فاعلا في تطبيق هذه القرارات الدولية.

٣) التمثيل الفلسطيني:

لقد تجاوزت المسيرة ظروف الانعقاد والتي تمت في مدريد. وعلينا الدفع باتجاه تصحيح التمثيل الفلسطيني بما يتلاءم مع قراري المجلسين الوطني والمركزي، بحيث يكون شاملا لفلسطيني الخارج والداخل بما فيه القدس، والدعم باتجاه اعادة الحوار الفلسطيني الامريكي، بما يضمن الدور القيادي العلني لمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

٤) الانتخابات:

ان محاولة شامير القفز عن مشروع الانتخابات الفلسطينية بالدعوة الى انتخابات للبلديات، قد تم تجاوزه من قبل رابين، الذي ينادي بانتخابات لسلطة الحكم الذاتي بالمفهوم الصهيوني لاتفاقية كامب ديفيد. ان مشروع رابين يشكل محاولة لفرض الفصل القسري بين الشعب الفلسطيني في الداخل وفي الشتات. كما يعمل على الفصل بين السكان والارض. ولهذا فان الموقف الفلسطيني يجب ان يتمسك بالانتخابات التشريعية، التي تشمل انتخابات تكميلية للمجلس الوطني الفلسطيني على طريقة الحل الدائم، الذي يشمل السلطة الفلسطينية المطلقة للشعب على الارض وجميع مصادرها الطبيعية، وحقه في العودة وتقرير مصيره، واقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

٥) السلطة المؤقتة:

يتمسك رابين في فهمه للحكم الذاتي بالتفسير الصهيوني لاتفاقيات كامب ديفيد. وبموجبها، كما صرح رابين (لن ينقل للفلسطينيين المسؤولية العامة في مناطق الحكم الذاتي، وان الحديث لايدور حول حكم ذاتي اقليمي، وانما حكم ذاتي كما تنص عليه اتفاقيات كامب ديفيد).

ان هذا المفهوم المرفوض فلسطينيا وعربيا، وحتى امريكيا، يجعل الموقف الفلسطيني المتشبث في موضوع المرحلة الانتقالية، والتي تؤدي الى تحقيق (الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني) كما جاء في رسالة التطمينات، والتي تعني بالمفهوم الدولي، الحق الفلسطيني للشعب في العودة، وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

ان تمسكنا الحازم بما نريد، وبما هو حق لنا. ونضالنا الدؤوب من اجل تحقيق الهدف، هو القادر على فرض المعادلة الفلسطينية بقواها الذاتية العتيدة، وباصرارها الملزم بما ورثه شعبنا من وصف العلي القدير له بالقوم الجبارين

(ان فيها قوما جبارين)

صدق الله العظيم.

وفي صراع الجبابرة لا خيار أمامنا غير النصر.. او النصر. وانتفاضتنا الجبارة التي اسقطت الطاغية شامير قادرة على فرض ارادتها وارادة شعبنا العظيم في دحر الاحتلال، وتحقيق الحرية والاستقلال الوطني.

وانها لثورة حتى النصر



الصفحة الأخيرة

وطن يليق بأم سعد

ليات الوطن؟ أم نذهب اليه؟

في كل الاماكن تدور حوارات لا تترك شيئا من العام أو من التفاصيل، لماذا؟ وكيف؟ ما هو حد الطموح؟ وما هو حد الوطن؟ وما هو المشروع؟ وما هو غير المشروع؟ ويدخل آخر يدلق تساؤلا بسيطا وجارحا، ما هو الادنى المقبول؟ وما هو الاعلى غير المستطاع؟.. ويضيف آخر اسئلة وتساؤلات؟ هل نلقي رأسنا المتعب على اي وسادة ولو كانت تسرق منا الاشياء او بعض الاشياء التي نحب؟ ويحتج أخر .. لماذا تقول ذلك؟ قل لنسترجع الاشياء او بعض الاشياء؟ أسئلة في كل شارع وحي، في كل لقاء وربما مع كل همسة..

ففي المحطات الفاصلة، تغوص الروح في ذاتها، بحثا عن التاريخ والرمز والاشياء التي صنعت تلك الحميمية بين الماضي والحاضر، وبين تلك الروح المنبثقة تطلعات لا تحصى الى مستقبل فيه الوطن.. وفيه رائحة البطولة والتاريخ.. فالحياة واللحظة فانيات، والباقي ملء عيون الزمن، حكاية انسان وحكاية وطن وعدالة وحق.. وأشياء اخرى..

كانت التساؤلات مرة.. وان كان الواقع المحيط بنا، اكثر مرارا، لاننا نتجاوز في كثير من الاوقات ذاتنا وتلك الحقائق الاولى، التي أعطانا الزمن والحظ والاجيال القادمة.

(٢)

هل تسقط المعادلة، منابع النبض؟

هل تسكت الروح صلاة في غير الاقصى؟

وهل الجفاف المحيط في نظام الامة، يستطيع ان يزحف الى مسام الروح في سنابل القلوب الطيبة

أي شيء يقال؟ اي شيء لا يقال، فجمر الروح ملتهب،

ودماء جواد سقطت عند المداخل الموغلة في الحب القديم،

يا حبنا القديم؟ ويا غناء الروح؟

لن يسكت الموال ؟

لن يصمت الموال؟

ويشهد شلال من دمنا

وتشهد خطوات "سيدنا" عمر

ويشهد الزمان الممتد حتى الكرمل.. ان الروح لنا، ان القادم لنا.. لو .. لو .. كانت الروح في لحظة الروح ..

(٣)

القدس في البال.. رغم صراخ المعادلة؟

(٤)

(الى غسان كنفاني روائيا وشهيدا).

ماذا تقول "أم سعد" للعائد الى حيفا، وهل كانت الخيمة وهما؟

وثرثرة ما بعد التعب الثقيل عن الرجال بلا وجوه، الذين حلموا بان يصنعوا وطنا يليق بأم أسعد بل هل كانت كل الثرثرات وهما.

يا أم سعد، لازال الوطن هو الوطن.

ولا تزال ام سعد تنبت في زوايا المخيم والحلم تنبت حكايا وتنبت رجالا كيف لا يكونوا بلا وجوه..

يا أم سعد.. لا حزن يبقى ويشهد دم غسان كنفاني.

الاتصالات والمراسلات

البريد الخاص. 1080 - ص . ب 18. تونس - الجمهورية التونسية-

فاكسميل : 767599